

# الديوان السادس

ضرب الكليم  
ضرب كليم

تأليف

محمد إقبال

نقله إلى العربية شعراً

الدكتور عبد الوهاب عزام

الناشر

شركة نواجح الفكر

الطبعة الاولى  
1434 هـ - 2013  
حقوق الطبع محفوظة للناشر  
شركة نوابغ الفكر

هاتف: 25936402 ، فاكس: 27865553

E-mail: nawabgh\_elfekr@hotmail.com

بطاقة الفهرسة  
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة الشؤون الفنية

أقبال ، محمد  
ضرب الكلیم: ضرب الكلیم : الديوان السادس/محمد اقبال ،نقله الى  
العربية : عبد الوهاب عزام  
- ط 1 - القاهرة : شركة نوابغ الفكر ، 2012  
166 ص ، 24 سم  
تدمك : 2-07-6415-977-978  
1- الشعر الفارسی  
2- عزام ، عبد الوهاب (ترجمه)  
ا- العنوان

ديوى : 891,551

رقم الابداع : 2012/21459

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

- ١ -

نسألك اللهم الإلهام والتوفيق. وبعد فقد يسر الله تعالى منذ عشرة أشهر ترجمة ديوان بيام مشرق الذي نظمته بالفارسية الشاعر الفيلسوف محمد إقبال رحمه الله. وتمّ طبع الديوان بالعربية في مدينة كراچي حين الذكرى الثالثة عشرة لوفاة الشاعرة في شهر نيسان (إبريل) سنة ١٩٥١.

وقدمت جماعة إقبال الديوان العربي إلى حاكم باكستان العام في احتفال رسمي حاشد.

وكانت ترجمة أحد دواوين إقبال إلى العربية تحقيق أمنية كبيرة للشاعر رحمه الله، واستجابة لأمل قديم في نفسي، وبلوغ غاية حاولت المسير إليها مرات فعوقتني الشواغل.

وكان لهذه الترجمة أثر بليغ في نفوس علماء باكستان وأدبائها وساستها، وقبول حسن عند قراء العربية.

- ٢ -

دعاني هذا الظفر إلى الاستقامة على الطريق لأترجم دواوين أخرى للشاعر العظيم، وهون علي المضي فيما بدأت واحتمال المشقة فيما

تصديت له، ودعا كثيرًا ممن يعرفني من أهل باكستان إلى أن يتوجهوا إليّ ناظرين ترجمة أخرى.

وذكرت الديوان الذي هممت بترجمته من قبل. وهو «جاويد نامه» القصة التي بين فيها إقبال كثيرًا من أحوال المسلمين وكثيرًا من آرائه وفلسفته أثناء رحلة في الكواكب دليله فيها الشاعر الصوفي الكبير جلال الدين الرومي صاحب المثنوي.

وما ترددت في إشار جاويد نامه بالترجمة بعد «بيام مشرق» ولكن صديقًا أديبًا من محبي إقبال المعجبين به، العارفين بشعره وفلسفته وسيرته، ومن الذين خالطوه كثيرًا في حياته، ولم يدخروا جهدًا في بيان دعوته والتعريف به - اقترح علي ترجمة ديوان آخر.

قال الصديق الأستاذ أحمد برويز: أرى أن تترجم «ضرب كلميم» لأنه آخر ما نشر المؤلف وآخر ما نظم إلا ديوان أرمغان حجاز الذي نشر بعد وفاته. وهو، إلى هذا، تتجلى فيه فلسفة إقبال القوية، ودعوته الصريحة في أمور معينة جعلها في الديوان فصولًا. ثم جاويد نامه منظومة واحدة طويلة عميقة يحتاج قارئها إلى زاد كثير من الفلسفة والتاريخ. ولا يتيسر إدراك مرامها إلا لقارئ أوتي حظًا موفورًا من العلم والأدب. ومترجمها لا يبلغ غايته حتى ينتهي منها؛ على حين أن مترجم ضرب كلميم ينهي عملاً بترجمة كل قطعة فيه، ويبلغ غاية كلما انتهى من فصل. وهو بعد هذا وذاك، أقل أحيانًا، وأيسر كلفة.

وما زال الصديق يوالي الحجج، حتى وافقته على أن أقدم «ضرب  
كليم» على «جاويد نامه» مؤخرًا هذه القصة مرة أخرى. والله المستعان.

رأينا أن نجتمع على قراءة الكتاب، واستقصاء معانيه، والتعمق في  
عباراته وإشارات، قبل بدء الترجمة.

وتواعدنا أن نجتمع في دار السفارة المصرية من مدينة كراچي، ونوالي  
الاجتماع كل أسبوع مرتين أو ثلاثًا حتى نفرغ من الديوان.

وحرصنا على ألا نتفرق عن مجلس حتى نتفق على موعد المجلس  
التالي؛ خشية أن تصرفنا الأشغال عن هذه المجالس. وكانت أفئدتنا تهفو  
إليها، وذكرها تحبب إلينا أن نسارع إليها.

كنت أنا والأستاذ أحمد برويز والأستاذ سيد عبد الواحد مدير الغابات  
في باكستان، وهو أحد المؤلفين في سيرة إقبال وفلسفته، أركان هذا  
المجلس. وكان يختلف إلينا إخوان من محبي إقبال منهم من يشهد  
مجالس متتابعة، ومنهم من يشهد جلسة أو جلستين ثم يغيب أو ينقطع؛  
فكانت الحلقة تضيق وتتسع.

وكنا بين الحين والحين ندعو إلى وليمة نستكثر فيها من أعضاء جماعة  
إقبال في كراچي؛ وندعو إليها رئيسها الفاضل نذير أحمد وزير الصناعة  
حينئذ.

وكان الأخ أحمد برويز شيخ المجلس، يتولى القراءة والشرح، ويفيض في الإبانة عن آراء إقبال، ويستطرد إلى كلام في الشعر أو الفلسفة، وإلى وصل كلام إقبال بالقرآن الكريم.

وقد سميت المجلس «مجلس إقبال» أو «مجلس الإقبال» وسميت حاضريه «دراويش إقبال» أو «قلندران إقبال» وسميت أحمد برويز شيخ الدراويش أو «شيخ قلندران إقبال».

\*\*\*

شرعنا في القراءة عقب عيد الفطر من سنة ١٣٧٠هـ. فلما فرغنا كتبت في بياض بالصفحة الأخيرة من الكتاب:

«تمت القراءة عشاء يوم السبت خامس المحرم سنة ١٣٧١هـ (٦ أكتوبر سنة ١٩٥١م)».

«والحمد لله أولاً وآخراً ورحم الله إقبالاً».

فقد قرأنا الكتاب في ثلاثة أشهر. ولا جرم أننا شغلنا عن المجلس أحياناً فلم نتابع مجالسنا على ما قدرنا.

وشرعت في الترجمة ليلة الإثنين حادي عشر شوال سنة ١٣٧٠هـ (١٦ تموز ١٩٥١م).

فلما فرغت منها كتبت السطور التي أرخت فيها إتمام القراءة: «يسر الله الفراغ من الترجمة عشاء ليلة الأحد ١٨ صفر الخير سنة ١٣٧١هـ (٨ تشرين الثاني ١٩٥٢م)».

فقد شغلتنى الترجمة زهاء أربعة أشهر وفرغت منها بعد شهر وصف من إتمام القراءة.

-٤-

أثرت أن أطبع الديوان في مصر لأبلغ فيه ما فاتني في بيام مشرق من وضوح الحروف واستكمال الشكل. ولبثت أرتقب سفري إلى الوطن المبارك، فلما بلغته في السادس من كانون الأول (ديسمبر) شرعت أبيض الديوان وأعدده للطبع، بين شواغل وأسفار متوالية وتولى رقمه<sup>(١)</sup> ولدنا الفاضل محمود جعفر الجبالي المفتش بمصلحة الضرائب.

ورغبت إليّ «جماعة الأزهر للنشر والتأليف» أن يكون الديوان من مطبوعاتها فسلمته إليها شاكرًا. ووددت أن ينجز طبعه وأنا في مصر لأنظر في تصحيحه، ووضع كلمة مكان أخرى أثناء التصحيح. ولكن لم يكن بد من العودة إلى باكستان قبل طبع الكتاب.

(١) وضعت كلمة مرقم لما يسمى الآلة الكاتبة، فاستعملت كلمة راقم لمن يسمى كاتبًا على الآلة الكاتبة، ورقم بدل كتب على الآلة الكاتبة. وقد استعملت هذه الكلمات في جامعة فؤاد الأول، فلعل استعمالها يشيع.

فتولى الإشراف على الطبع وإرسال النماذج إليّ بالبريد الجوي،  
الأستاذ محمود الجبالي أيضًا، جزاه الله خير الجزاء.

\*\*\*

إنَّ من سعادة الجد أن أحقق أمنية الشاعر الفيلسوف العظيم، وأزيد في  
ثراء لغة القرآن بترجمة بعض دواوين إقبال إلى العربية.

ويزيدني غبطة، ويشرح صدري، أن أنشر ديوان ضرب كليم حين  
الذكرى الرابعة عشرة لوفاة شاعر الإسلام النابغة، كما امتلأت نفسي  
سرورًا، وقلبي نورًا، حينما نشرت بياض مشرق في الذكرى الثالثة عشرة  
لوفاته. كم رجوت أن أترجم من دواوين إقبال؛ ولكن ما طمعت قط فيما  
يسره الله لي من ترجمة ديوانين في أقل من ثمانية أشهر، ونشرهما في سنة  
واحدة.

والحمد لله على توفيقه. وهو المسئول أن يوفق ويلهم ويسدد، وهو  
حسبي ونعم الوكيل.

مدينة كراچي

١٥ آذار سنة ١٣٧١هـ

١٩ جمادى الثانية سنة ١٩٥٢م

## مدخل «ضرب الكلیم»

ديوان يشتمل على آراء ونظرات في الناس جماعات ووحداناً وفي الدين والتربية والفنون والأدب والسياسة. فهو أدخل في الفكر والفلسفة؛ ولكن فيه من العاطفة والخيال ما يدخله في الشعر.

وكل حقيقة في هذا الكون أهل أن تدخل في الشعر، إن صبغتها عاطفة الإنسان، أو صورها خياله. وموضوعات الشعر تتوالى من محيط دائرته إلى مركزها؛ بعضها عند المحيط يدخل في الشعر قليلاً، ويجاور ما هو خارج الدائرة، وبعضها أدخل في الدائرة، وهكذا تتوالى إلى مركز الدائرة، على قدر نصيب الموضوعات من العاطفة والخيال.

فالكلام في ضرب الكلیم شعر يقارب الحقائق المجردة أحياناً، ويمعن في الشعر أحياناً ولكنه في جملة أقرب إلى المحيط منه إلى المركز.

ومن أجل هذا لقيت في ترجمته عناء أكثر مما لقيت في ترجمة بيام مشرق، وإذ حرصت على ألا تذهب الترجمة بقسمات الشعر فيه، وألا ينصل بها الخضاب الشعري القليل، وألا يذبل هذا الزهر الصغير بالانتقال من روضة إلى روضة، وألا تضع الدقائق الشعرية بين لغتين مختلفتين وأسلوبين من البيان متباعدين.

والكتاب في جملته ضرب يفجر الماء من الحجر لا موسيقى وغناء  
كما قال إقبال:

كفاح شديد وضرب شديد فلا تبغ في الحرب عزف الوتر

ومن أجل هذا سماه ضرب الكلیم، رمزاً إلى قصة موسى حين ضرب  
بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً.

فلعل القارئ يقدر حقائقه في معرض من الشعر شفاف أكثر مما  
يلتمس فيه خيال الشعر وزينته وبهجته. ولعله كذلك يقدر عناء المنشئ  
والمترجم في عرض هذه الحقائق والإبانة عنها في أسلوب من الشعر  
الرصين.

## فصول الديوان

قسّم الشاعر ديوان ضرب الكلیم على ستة فصول، وقدم قبلها قطعتين  
وقصيدة: القطعة الأولى أبيات قدم بها الديوان إلى أمير ولاية بهوبال  
حميد الله خان، والثانية يخاطب فيها القراء. والقصيدة سماها تمهيداً.

وهذه فصول الديوان:

١- الإسلام والمسلمون، (وهو أطول الفصول).

٢- التعليم والتربية.

٣- المرأة.

٤- آداب الفنون الجميلة، (وهو ثاني الفصول طولاً).

٥- سياسيات المشرق والمغرب.

٦- أفكار محراب كل الأفغاني.

وهذه الفصول مؤلفة من قطع صغيرة بين بيتين وعشرة، لا تتجاوز العشرة إلا قليلاً.

والفصل الأخير منظومة واحدة مقسمة عشرين قسمًا تختلف أقسامها أوزانًا وقوافي؛ ولكن الشاعر جعلها منظومة واحدة وربط بين أقسامها بأعداد متوالية.

والقطع في الفصول كلها، إن عدنا أقسام الفصل الأخير، مائتان واثنتان.

وفي المقدمة أربع قطع.

## فلسفة إقبال

لا بدّ من كلمة موجزة في فلسفة إقبال تعين القارئ على إدراك مرامي الشاعر.

أساس فلسفة إقبال ما سماه «خودي» (الذات أو الذاتية).

وقد بين مذهبه هذا في كثير من شعره وخص به منظومة سماها أسرار  
خودي.

وخلاصة هذه الفلسفة، وما بني عليها، وما يتصل بها من آراء:

(أ) أن الذاتية جوهر الكون وأساس نظامه، وسر الحياة فيه.

(ب) وأن الذاتية هذه تحيا من تخليق المقاصد، وتوليد الآمال.

كما يقول إقبال: «نحن أحياء بتخليق المقاصد، ونحن منيرون من شعاع  
الأمل».

(ج) وأن الذات تقوى بعشق ما تؤمل، وسعيها إليه غير متوانية وإقدامها  
عليه غير هيابة واقتحامها كل عقبة في سبيله كما قال: «وهي بالمحبة  
أقوى، وأحيا وأضوأ».

(د) والجهاد الدائم، والكفاح المتصل تقوى به الحياة وتزداد وتثير.  
والأحجام، والتردد والسكون إلى الدعة والخضوع تضعف الحياة  
وتطفئها.

(هـ) وعلى الإنسان أن يستخرج كل ما في فطرته من مواهب، وأن  
يعتمد على نفسه، ويظهر ذاته في قوله وفعله، ويحذر التقليد والاعتماد  
على غيره، وطلب ما عند الناس والغفلة عما في نفسه من كنوز.

(و) بهذا كله تقوى الذات، وقوة الذات هي مقصد هذه الحياة. والشاعر معجب بالقوة في كل شيء، القوة الحسية، والقوة المعنوية. وهو بهذا يعجب بالفيلسوف الألماني نيتشه ويذكره كثيراً؛ ولكنه يأخذ عليه أنه عرف العقل لا القلب، والجسم لا الروح، والعلم لا العشق، ويقول عنه: لم يكن أهلاً لنكتة التوحيد، وأنه آمن عقله وكفر قلبه، وأنه بنى موثناً على أسس مسجد.

بل القوة عند إقبال من عناصر الجمال، فإنَّ الجمال لا يكون بغير جلال.

يقول في القطعة التي عنوانها: الجلال والجمال:

عندي جمال في بهاء أن تُرى      في سجدة للقوة الأفلاك  
ولنغمة من دون نار نفخة      ما الحسن إلا بالحلال يُحاك

بل يقول في هذه القطعة: إنه لا يحب أن يعذب بنار غير قوية:

لا أرتضي نار الجزاء ولم تكن      وهاجته ولهيهها دراك

(ز) والحسن والقبح، أو الخير والشر من علو الذات وانحطاطها وقوتها

وضعفها.

عالم الذات به علو وسفل      وبه معرك قبح وجمال  
في اعتلاء الذات ما يبدو جميل      وقبيح ما بدا في الاستفال

(ح) والذات المفردة القوية الناضجة تنسلك في الجماعة، ولا تفنى فيها. وقد بين إقبال في ديوانه أسرار خودي كيف يلتئم الواحد القوي في جماعته وكيف يسعد بهذا الالتئام ويبقى ولا يفنى. ومن إشارته في هذا:

يا من في القافلة سز رفيقًا وكن وحيدًا

ويقول في ضرب كليم في القطعة التي عنوانها الرجل العظيم:

هو في المجمع خال      وممن الحشد طليق  
مثل شمع الحفل، في الحف      ل وحيد ورفيق

(ط) والإنسان أعظم الكائنات، وكل شيء في العالم مسخر له كما في

القرآن الكريم:

{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات  
وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلًا}.

{وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه}.

{وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم

الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا  
تحصوها}.

(ي) والإنسان حرٌّ غير مجبر، ومخيّر غير مسير. عزمه دليل على القضاء

أو مشير عليه. والمؤمن الحر هو مقياس الصلاح والفساد والبقاء والفناء  
في هذه الدنيا؛ بل في الدنيا والآخرة:

فيه عزم على القضاء مُشير وهو في العالمين كالميزان

النبات والجماد في قهر الطبيعة؛ ولكن المؤمن الحر لا يقيدته إلا  
إطاعته أحكام ربه:

إن النبات وإن الجامدات لها من القضاء قيود ذات إحكام  
والمؤمن الحر لا شيء يقيدته لكن لخالقه في قيد أحكام

### يا - الحضارة الحديثة

ويروى إقبال أن الحضارة الأوروبية مادية، لا روح لها ولا قلب.  
ويشتد في نقدها، ويذكر فلاسفتها فيقبل من آرائهم قليلاً ويرد كثيراً،  
ويرى أن في الإسلام وحضارته سعادة البشرية والتأليف بينهم، وجمعهم  
على شرعة الحق إخوة متحابين متعاونين.

### يب - فلسفته في هذا الديوان

تتجلى فلسفة إقبال، في الذات وما يتصل بها ونظره إلى الحضارتين  
الإسلامية والأوروبية وسائر آرائه، في كل فصول هذا الديوان، حتى الأدب  
والفنون الجميلة.

الشعر فيه من الحياة رسالة أبدية لا تقبل التبديلا  
إن كان من جبريل فيه نعمة أو كان فيه صور إسرافيل  
- صمت طير الصبح أولى من إن سرى في الرّوض باللحن ذبول

والغناء إن أدى إلى ضعف أو خور فهو حرام:  
 إن سرت في اللحون دعوة موت حرم الناي عندنا والرباب  
 والمصور ينبغي أن يصور الحياة وأن يطبع ذاته على الطبيعة لا أن  
 يحاكيها:

مقصد الفن في الحياة لهيب أبدي فما وميض الشرار؟  
 يا خبيراً بفتنه فيه تمت صنعة العصر والعصور الخوالي  
 كم ترى من طبيعة وتريها أرنا الذات فوق هذي المجالي

## تفسير اصطلاحات في الديوان «الفقر»

يشيد إقبال بالفقر في مواضع كثيرة من شعره في هذا الديوان وفي  
 غيره، ويعده مفتاح كل خير والوسيلة إلى كل سؤدد، والمقتحم كل عقبة.  
 ومن الأبيات التي ذكر فيها الفقر في هذا الديوان:

في القطعة: «على ذكر الأذن يحمل السيف»:  
 أيها المسلم تدري اليوم ما قيمة الفولاذ والعضبِ الذكّر  
 هو مصراعٌ من البيت الذي مضمّر فيه من التوحيد سرّ  
 وأرى مصراعَه الثاني في سيف فقر تحويه كفُّ حر

وقوله في القطعة «الفقر والملكية»:

الفقر يمضي بلا سلاح      في حومة الحرب كالرجوم

وقوله في قطعة «السلطان»:

تعلم فألف مقام وشأن      لفقر بدا فيه روح القرآن

وقوله في قطعة «الإمامة»:

يُمِرّ عليك من فقر مسنًا      فيطبع منك سيفًا للمنايا

وقوله في القطعة «نكتة التوحيد»:

أئي ملك مقام فقر، ولكن      تؤثر السذل مذعنًا ما احتيالي<sup>٤</sup>

وقوله في القطعة التي أولها: متاعك في الحياة فنون علم:

وما إن ذل قوم قد أعدوا      حماس العشق والفقر الغيور

ويتبين من التأمل في هذه الأبيات أن الفقر في لغة إقبال ليس عدم المال أو قلته، ولا هو حاجة إلى ما يعيش به الإنسان ويعتز به من متاع الدنيا. فماذا يعني إقبال حين يذكر الفقر ويشيد به ويبالغ في إكباره؟ الذي أدركته من كلام الشاعر أن الفقر الذي يعنيه هو خلاص النفس من قيد التملك أو الطمع، ومضيتها عاملة مقدمة لا يطغها وجدان ولا يذلها حرمان. وربما يملك الفقير قناطير من الذهب، وربما يكون ملكًا مسلطًا لا يُعجز سلطانه مال أو متاع.

وليس هذا المعنى بعيدًا عما فسّر به بعض الصوفية الفقر. ففي رسالة

القشيري:

سئل يحيى بن معاذ عن الفقر، فقال: «حقيقته ألا يستغنى إلا بالله».

وقال الشبلي:

«أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد، فأنفقها في يوم ثم خطر له أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدق في فقره».

وفي الرسالة أيضًا:

«وقيل: صفة الفقر ألا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره».

وفي كتاب عوارف المعارف للسهروردي:

«وقال الكتاني: إذا صحَّ الافتقار إلى الله تعالى صحَّ الغني بالله تعالى؛ لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر».

فترى أن الفقر في هذا الكلام ليس عدم الملك وفوات المال؛ ولكن ألا يرتبط الإنسان بما أدرك أو بما فات؛ أعني ألا تكون الدنيا في قلبه وإن كانت في يده.

### «قلندر»

يعني به إقبال الإنسان الذي لا يصل نفسه بمال ولا أهل ولا دار. وهو في الأصل اسم رجل ذهب هذا المذهب وأحدث طريقة كان سالكوها

يديمون السفر لا يلبثون في مكان، ولا يقيدهم ملك ولا أهل ولا وطن،  
ويحلقون رءوسهم ولحاهم.

وسمي سالك هذه الطريقة قلندرا باسم صاحب الطريقة.

وقد رأيت أن أبقى اللفظ في الترجمة؛ لأنه علم في الأصل. وجعلته  
أحياناً وصفاً وأحياناً نسبت إليه فقلت: القلندر والقلندري.

### «الجنون»

يكرر الشاعر ذكر الجنون في هذا الديوان، ففي القطعة التي أولها:  
إلى عصابات العرب ما أنا منتم ولا أنا هندي ولا أنا أعجمي  
يقول:

فلست أرى في بيدك اليوم جنة تَشَبُّ بهذا العقل نار التقدم  
وفي القطعة التي أولها: متاعك في الحياة فنون علم.

يقول:  
ومزقتُ الجيوبَ وأنت حال جنوني - لا ألومك - في قُصور  
وفي القطعة «يا شيخ الحرم»:  
فسي جنوني لك أسرار بدت فاجزني يا شيخُ عن هذا اللمم

وفي القطعة التي عنوانها «المدرسة»:

أبعد الدرس عن حماك جنونا قال للعقل: لا تُلذ بنقشاش

وفي القطعة «فلسفة»:

إن في حلقة المجانين عقلاً في شرار يرى لهيئاً مُضِيّاً

وظاهر أن إقبالاً يعني بهذا الجنون الحماس والإقدام وأداء الواجب دون تردد، وفي غير حساب للمشقة والريح والخسارة، فهو قريب من العشق الذي يذكر في مقابلة العقل.

وكانه يقول: إن هذا الإقدام يُعُدُّه الناس جنوناً، ونحن نحب هذا الجنون.

وللأستاذ أحمد برويز كلمة جامعة في فلسفة إقبال وآرائه يجدها القارئ بعد هذه المقدمة.

وحسب القارئ أن يظفر بمقال برويز عن إقبال.

فحسبي الكلمات التي قدمتها.

عبد الوهاب عزام

## ضرب الكلميم كلمة الأستاذ أحمد برويز (ترجمت من الأردوية)

هذا الكتاب الذي تقدم إلى القراء ترجمته، سماه العلامة إقبال «ضرب كلميم» ووصفه بأنه (إيدان العصر الحاضر بالحرب). وأرى أن هذا الوصف لا يخص ضرب الكلميم بل يشمل جانبًا كبيرًا من رسالة إقبال العظيمة. فنحن إذا قسمنا رسالة إقبال انقسمت إلى قسمين خطيرين:

الأول: ثورة على «الإسلام غير المنزل من الله» وضعه الأعاجم وخيلوا إلى الناس أنه عين الإسلام، وفرضوه على الأمة التي بُعثت لتمحو ما لا يلائم الدعوة القرآنية. وكان هذا الكيد للإسلام انتقامًا من الهزيمة التي أصابت الأعاجم بسيوف المسلمين. فقد علموا أن سر القوة والسطوة في هذه الأمة المجاهدة، سنن القرآن وعقائده التي تبعث الحياة في النفوس. فكادوا لها ليعبدوها من القرآن ويربكوها في حباله «الإسلام غير القرآني». وقد أحكموا كيدهم حتى حسب المسلم الغر هذا السراب ماء. لقد أدخلوا في الإسلام فلسفة اليونان المخدرة، وخضوع المجوس للسادة، وشرعية اليهود المعنية بالصور والأشكال. كذلك عمدوا إلى هذه الأمة التي كانت شعلة من العمل والإقدام؛ فجعلوها بالاستسلام واليأس كومة من رماد.

والقسم الأول من رسالة إقبال نذير الموت لهذا الإسلام غير المنزل،  
وبشير الحياة للإسلام القرآني.

\*\*\*

والقسم الثاني من رسالة إقبال احتجاج دائم على هذه الفتن التي تموج  
بها الحضارة الغربية، والتي يذهب موجهها بشباب الأمة الإسلامية كما  
يذهب السيل بالغيثاء. وضرب الكلیم هو إيذان هذه الحضارة بالحرب.

ما حضارة العصر الحاضر؟ ولماذا يشتد إقبال في معاداتها؟ لا نعرف  
جواب هذا السؤال حتى نعلم ما الحضارة الإسلامية.

إن من يتدبر القرآن يتجلى له أن الإسلام نظام حياة يسمى دينًا. فقد بين  
القرآن للحياة الإنسانية مقاصد، وحد حدودًا، وجعل للإنسان الاختيار  
والاجتهاد غير متعدد هذه الحدود وهذه المقاصد والحدود لا تتبدل، فهي  
حقائق أبدية، وقيم للحياة خالدة. يتبين من القرآن أن للحياة مظاهر  
مختلفة متغيرة، ولكن لها ينبوعًا واحدًا لا يتغير. وهذا ينبوع أصل هذه  
الحقائق التي ذكرت آنفًا.

والإيمان بوحدة ينبوع الحياة، ينبوع الحقائق الأبدية، يؤدي حتمًا إلى  
هذه النتائج:

(أ) كل إنسان مودع في فطرته إمكانات الحياة، وغاية الحياة نمو هذه  
الممكنات وتجليها. وهذه الجواهر الفطرية الخفية إذا نضجت وتلألأت

تجلت ذات الإنسان. وحفظ هذه الذات وخلودها هما غاية سعي الإنسان وجهده.

(ب) والناس آحاد في أخوة شاملة عامة، لا تحدها الأوطان والأقوام واللغات.

(ج) ثم فلاح النوع الإنساني في أن يمضي في الحياة على شريعة واحدة، يتلقى بالوحي. وهو اليوم محفوظ بين دفتي القرآن تحت هذه السماء.

\*\*\*

في الإسلام نظام للمعايش محكم، قائم على هذه القواعد المحكمة، يمضي الإنسان به على سنن التقدم والترقي حتى يبلغ في مراحل الكمال سدرة المنتهى.

وإليك خصائص هذا النظام:

(أ) في هذا النظام يستطيع كل فرد في الجماعة أن يمثل في نفسه الصفات الإلهية التي يسميها القرآن «الأسماء الحسنى». وهي ينبوع القيم الدائمة في الكائنات.

(ب) وتستحكم نفس الإنسان فيستطيع أن يوازن بين هذه الصفات كلها، فقد وصفت الأسماء بأنها الحسنى، ولا يكون الحسن بغير اعتدال وتناسب.

(ج) وتتجلى في الإنسان بصيرة يصح بها حكمه، ويستقيم رأيه، فيعلم أي هذه الصفات الإلهية تقابل أي الحوادث الخارجية التي تتابته.

(د) ثم يبدو في الجماعة التي تؤلفها أفراد من هذا القبيل، قدرة على تسخير عالم الطبيعة، وصلاحية للانتفاع بهذا التسخير في فلاح الإنسان وسعادته.

(هـ) وبالإيمان المحكم بوحدة الخالق، ووحدة الكائنات، ووحدة الأمة وائتلافها، تتوافق الأضداد الظاهرة بين الإنسان والكائنات، وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان ونفسه، فيزول التنافر والاضطراب عن الجماعة الإنسانية.

(و) ثم يرى كل واحد في هذه الجماعة نفسه مظهرًا للصفة الإلهية «رب العالمين»، فيقوم على الإنسانية بالحق والعدل غير راج أجراً ولا عوضاً، فتيسر لوحدان الجماعة ضروريات الحياة، وتنمو فيهم القوى الفطرية، وتدل لهم الوسائل والأسباب أبداً.

\*\*\*

هذه خلاصة المدنية القرآنية في كلمات قليلة. وعلى عكسها المدنية الحاضرة. فهي تناقض هذه الأصول كل المناقضة.

هذه المدنية قائمة على هذه الفلسفة: أن الحياة تنشأ من اجتماع العناصر المادية اتفاقاً، وتفنى بتفريق هذه العناصر. والدنيا هي دنيا هذه

العناصر المادية التي يتغير فيها كل شيء. فليس فيها قيم دائمة، وليس فيها قانون لمكافأة الأعمال، والخير ما يجلب لواحد أو جماعة نفعًا خاصًا (ولو كان في هذا هلاك آحاد أو جماعات أخرى).

والشر ما يضر واحدًا أو جماعة. وكل أمل هؤلاء الوجدان والجماعات في الحياة أن تجر إلى أنفسها منفعة، وعمل العقل والعلم أن يهيئ الأسباب والوسائل أو الحيل والمكايد لتحصيل هذه المنفعة.

ونتيجة هذه الفلسفة (مدنية العصر الحاضر) في الأفراد، أن في كل ستة من تلك الأفراد فردًا يختل عقله فيرسل إلى مستشفى المجانين، كذلك دل إحصاء أهل الغرب أنفسهم. ونتيجة هذه الفلسفة في الجماعات أن أمم العالم في شغل بالقتل وسفك الدماء والتدمير، أو بالاستعداد للقتل والسفك والتدمير.

\*\*\*

أنعم إقبال النظر في فلسفة الحياة، ونظريات السياسة وال عمران، عند الأمم الغربية؛ فتجلت له هذه الحقيقة: أن هذه الفلسفة، وهذا المنهاج في الحياة يجعلان هذه الدنيا جهنم لا محالة.

وإلى هذا كشفت له السنن القرآنية حقائق الحياة حتى رأى البروق الكامنة في السحب، والعواصف المضمرة في الرياح.

هذا النظر حفز إقبالاً إلى أن يحذر الغرب، فيقول للغربيين سنة ١٩٠٥م: «ستقتل حضارتكم نفسها بخنجرها - لا يثبت العرش على غصن رطيب ضعيف مضطرب».

ولم يأل إقبال جهداً، منذ ذلك الحين إلى آخر لمحات حياته، في أن يحذر الناس عامة والأمن الإسلامية خاصة من هذه الحضارة الشيطانية، ويخوفهم عواقبها.

\*\*\*

وهذه طائفة من النذر، اسمها «ضرب كليم» يكتبها إقبال بعد أن يحطم كل أصنام العصر الحاضر، ولكنه لا يكتفي بأن يبطل سحر الفرعونية والهامانية والقارونية<sup>(١)</sup> بل يهدي هذه الأمة في نور القرآن إلى الأودية المباركة من سينا وفاران، حيث تفيض البركة من ينابيع الأرض، وينزل الخير من السماء.

هذا ما يتعلق بـ«ضرب كليم». ويجدر بنا الآن أن نبرز نقطة من الأهمية بمكان في دراسة إقبال بوجه عام، وهي أن شعر إقبال حافل بكلمات معينة، عربية وفارسية، لم يقصد إلى مدلولها اللغوي، إنما استخدمها كاصطلاحات من وضعه هو. إذن لا يتأتى لأحد أن يتبين ما يرمي إليه الشاعر ما لم يكن ملماً بحدود تلك المصطلحات الخاصة، مثل «علم وعشق، ذكر وفكر، خبر ونظر، سوز وساز، أو درويش وقلندر ومرد خُر»

(١) يعني صفات فرعون وهامان وقارون.

وأخرى غيرها. ومع أن كل واحدة من تلك الاصطلاحات لها أهميتها إلا أن من بينها اصطلاحًا هو بمثابة المحور لفكر إقبال، المحور الذي حوله يدور شعره كله، ألا وهو «خودي = الذاتية». لقد كان هذا اللفظ يستعمل عندنا (بالأردوية) من قبل بمعنى الكبرياء والغرور (الأنانية) لكن إقبال أفاض عليه معنى خاصًا مغاير للمعنى القديم الذي لم يلبث أن اختفى في أيامنا هذه أمام مزاحمه الجديد.

فماذا يعني إقبال بـ«خودي»؟

إن الإجابة على هذا السؤال تأبى إلا البسط والتفصيل؛ لأن فلسفة إقبال هي فلسفة «خودي» سواء بسواء، بحيث لا يمكن الإحاطة بمغزى هذا الاصطلاح بدون استعراض فلسفته برمتها. وليس هذا مقام التفصيل والإطناب، إلا أنه نظرًا إلى تكرار وجود هذا الاصطلاح في «ضرب كليم» يتحتم علينا أن نعرفه تعريفًا خاطفًا بكلمة موجزة قدر الإمكان:

هل شخصية الإنسان ووجوده الفردي، أو بعبارة أخرى «أنا» حقيقة مستقلة أم هي من نسج الخيال فقط؟ هذا هو السؤال الذي قلما أغفل مفكرو أية أمة من أمم العالم الإجابة عنه. فذهب أفلاطون ومن ورائه حكماء إيران والهند، إلى أن الكون لا يتمتع إلا بالوجود الكلي وأن ذات الإنسان (شخصيته أو «أنا») وهم وخدعة لا غير. ثم إن هذه الخدعة إنما تستمد القوة من العمل الذي هو بدوره ينشأ من الرغبة. فالطريق إلى التخلص من هذه الخدعة هو أن يتدرج الإنسان من ترك الرغبة إلى ترك العمل؛ لكي يتلاشى حجاب ذات الإنسان في بحر الوجود الكلي. وفناء

الذات هذا هو النجاة والغاية من الحياة. فهذه هي فلسفة الحياة التي ظهرت وانتشرت بيننا باسم نظرية وحدة الوجود والتي حوّلت المسلمين من أمة دائبة في العمل إلى جماد لا حراك به.

وقد عُني إقبال بتفنيد فلسفة الحياة هذه، ومعارضتها بضدها أعني فلسفة «خودي». وتتلخص هذه الفلسفة الأخيرة في أن الوجود ليس كلياً يشمل الكون من حيث المجموع؛ بل هو فردي يخص جميع الموجودات كلاً على حدة، حتى أن الله أيضاً فرد، وإن كان متميزاً عن سائر الكون في طبيعة وجوده الفردي الخاص، ف«خودي» عبارة عن أسمى صورة للحياة الفردية التي بها تتشكل شخصية الإنسان ووجوده المستقل. وعلى هذا فالغاية من الحياة الإنسانية هي إثبات «خودي» لا سلب الذات. ويعتقد إقبال أن الإنسان كلما تشبه بذلك الفرد الكامل العزيز الوجود (الذي يطلق عليه «أنا» المطلق أو الله) أصبح هو نفسه منفرداً عزيز الوجود، وذلك بما يسمى بتقوية «خودي» وإحكامها. و«التشبه بالله» إنما يعني استمرار الإنسان في التحلي بصفات الله إلى أن يتم بذلك جذب «أنا المطلق» في نفسه (نفس الإنسان). والمحك الذي يكشف عن قوة «خودي» وضعفها هو مدى تغلب الإنسان على الموانع التي تعترض سبيله في الحياة. ولا يخفى أن أعظم تلك الموانع هي المادة، ولكن لا يفهم من هذا أن المادة شر يستوجب الابتعاد والنفور منه، فإنها ليست شراً، إنما هي وسيلة لإيقاظ الهمم وإبراز قوى الإنسان من مكانها.

واحتناك الموانع والعوائق وتغلب الإنسان عليها يصل بـ«خودي» إلى أن تستطيع الصمود حتى لصدمة الموت - الأمر الذي ييسر لها الحصول على الحياة الخالدة. فكل عمل يؤدي إلى تقوي «خودي» خير، كما أن كل عمل يؤدي إلى إضعافها شر.

ويبين إقبال المراحل المختلفة لارتقاء «خودي» فيقول: إن المرحلة الأولى هي (خلق المقاصد) أو (توليد الرغبات)، فإن الرغبات والأمانى هي عين الحياة وأصل القوة من حيث تحرك وتدفع إلى العمل. والمرحلة الثانية لخلق المقاصد هي مرحلة الجهاد المتواصل لتحقيق تلك المقاصد، والحماس للحصول على المقاصد والسبق إلى الغايات هو ما يسمى بـ«العشق» في عرف إقبال. ثم إن هناك ثلاثة شروط للنجاح في هذا الجهد: أولها الطاعة؛ أعني الانقياد التام لأوامر الله، وذلك يستلزم إنشاء مجتمع على النظام الذي جاء به القرآن. وينتج من الطاعة ضبط النفس الذي هو الشرط الثاني للنجاح. وليس المراد بضبط النفس القضاء أو الضغط على الشهوات؛ بل مجرد «كظمها» أي: تغيير مجراها وتحويل وجهتها بحيث يتم التوازن بينها، ذلك التوازن الذي يتجلى بأكمل وجه في الذات الإلهية الجامعة لصفات متضادة متعادلة للغاية.

وإذا تمَّ تطهير الفكر والعمل وتهذيب النفس على النحو الذي تقدم، وصل الإنسان إلى المقام الذي يسميه إقبال «نيابة الله». وذلك هو الشرط الثالث. وإنما يعني إقبال بـ«نيابة الله» القوة التنفيذية التي تتولى إجراء

حدود الله (أحكام القرآن) في العالم. (ولا تعني نيابة الله الحلول محل الله؛ لأن ذلك يستلزم خلو المحل وانعدام شاغله أولاً).

هذا المقام هو «مقام المؤمن» والمقام الذي يؤكد إقبال أنه يمثل آخر مدى قوة «خودي» واستحكامه. إذا انتهى الإنسان إلى هذا المقام غلب هو على الدنيا ولم تغلب الدنيا عليه -الحال التي تسمى في عرف إقبال «الفقر (حال الدرويش أو القلندر)» وهي عبارة عن تسخير جميع الكون، ثم الاستغناء عنه بحيث يكون الإنسان مظهرًا لتلك الصفة من صفات الله التي ذكرها بقوله «الصمد» و«غني عن العالمين». والجماعة التي تنتظم أفرادًا هذه حالهم هي الأمة المسلمة. وأقصى ما تهدف إليه رسالة إقبال هو البعث الجديد لهذه الأمة التي قيل عنها:

ميان امتان وإلا مقام است      كه أنه امت دو كيتي را امام است  
نياسايد زكار آفرينش      كه خواب و خستكي مبروي حرام

(إنها تعلق فوق الأمم لأنها أمة نيطت بها الإمامة في الدنيا والآخرة، فهي لا تني عن مواصلة أمور الخلق؛ لأن النوم والتعب محرمان عليها) إشارة إلى قوله تعالى: { لا تأخذه سنة ولا نوم }، {وما مسنا من لغوب}. وقيل عنها أيضًا:

بباغان عندلبيي خوش صفيري      براغان جره بازي زودكيري  
أمير أو بسطاني فقيري      فقير أو به درويش أميري

{إنها في البساتين عندليب حسن التغريد وفي الصحاري باز خفيف سريع الانقراض، الأمير فيها فقير على الرغم من كونه سلطاناً، كما أن الفقير فيها أمير على الرغم من كونه درويشاً}.

{لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً}.

\*\*\*

ومن جد رسالة إقبال أن ظفرت بالصديق المبجل صاحب السعادة الدكتور عبد الوهاب عزام، وفي يده قلم يشق الصخر ويجري نهرًا من اللبن<sup>(١)</sup>، فأخرجها من ضيق الأردية إلى بحر العربية، ونقلها من ركود الساحل إلى أمواج العباب، تنشر شراعها وتمضي سبيلها.

ومن جد الناطقين بالعربية من الأمة الإسلامية، أن يعرفوا رسالة الحياة، هذه الرسالة التي كانت بعيدة عنهم بألفاظها على قربها منهم بمعناها.

والله يقدر لرسالة البعث هذه أن تقع في ديار العرب بذرا صالحًا ينبت الشجرة الباسقة التي نبتت هناك من قبل، والتي قيل في سموها ويسوقها {أصلها ثابت وفرعها في السماء} وقيل في سعتها وامتدادها {لا شرقية ولا غربية}. وإنما ينبت هذا الشجر المبارك ويثمر في أرض القرآن.

(١) إشارة إلى قصة فرهاد وشيرين؛ فقد شق فرهاد طريقًا في الجبل وأجرى فيه اللبن من المراعي، كما طلب الملك برويز ليظفر بشيرين. تفضل بترجمة الجزء الأكبر من كلمة الأستاذ برويز، حضرة الأستاذ الدكتور محمد يوسف المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول.

تلك رسالة إقبال، مفهومها ومنطوقها:

مسلمًا إن ترد حياة فهيا ما بغير القرن توّتى الحياة<sup>(١)</sup>

## غلام أحمد برويز صاحب معارف القرآن

كراتشي (باكستان)

فطرة الحُرِّ لا تُطيق مُقامًا      فألف السيرَ دائبًا كالنسيم  
ألفَ عَيْنَ تشقِّ صخرَك فاضرب      بعدَ غَوْصٍ في (الذات) ضرب

### إلى القارئين

إذا لم تُصِب في الحياة النظرَ      فليس زجاجك كُفءَ الحجر<sup>(٢)</sup>  
كِفاح شديدٌ، وضربٌ شديد      فلا ترجُ في الحرب عَزْفَ الوتر  
مَعِينُ الحياة دماءَ القلوب      ولحنُ الدِّمَا لا المِياهِ الفِطْر<sup>(٣)</sup>

(١) كرتومي خواهي مسلمان زسبتن نيسن ممكن جز بقرآن زيسن.

(٢) أنت بالنظر الصائب صلب تطبيق الصدام في الحياة، وإن لم يصب نظرك كنت كالزجاج لا تقوى على الصدام.

(٣) لحن المياہ يستخرج من أوان تصف ويوضع فيها الماء مقادير مختلفة على نسب محددة، ويضرب عليها. وهذه تسمى «جل ترنك» أي: لحن الماء. فقال الشاعر: إن الفطرة لحن دم لا لحن ماء. يعني أن أنغامها تنبعث من دماء الناس لا من المياہ.

## تمهيد

(١)

يَقْظَةُ «الذات» لا أراها بِدَيْرٍ      لا ولا تُجْتَلَى لَدَى المِحْرَابِ  
 إن رَوْحَ الشعوبِ فِي الشَّرْقِ غَافٍ      من سَمومِ التَّرياقِ، رَهْنُ غِيَابِ<sup>(١)</sup>  
 إن تَضَيَّقَ بِالْجِهَادِ فِي الأَرْضِ ذُرْعاً      فحِرامٌ مَسْرَاكُ فَوْقَ، السَّحَابِ<sup>(٢)</sup>  
 ليس من خيفة الممات نجاة      إن تَرَّ (الذات) هيكلاً من تراب<sup>(٣)</sup>  
 ليس يُخْفِي صرُوفَه الدَّهْرُ لَكِنْ      لك قلبٌ وناظرٌ في حجاب  
 قد مُنِحَتْ الهَشِيمَ فِي آسِيَا إِذْ      أنَّ نارِي حديدة في التهاب<sup>(٤)</sup>  
 ذَنْبُ إِقْبَالِ البَيَانِ وَإِنْ كان      شبيبة الزمان نزر الوصال<sup>(٥)</sup>  
 هاج أنغامه عكوفاً على الخشخاش مَوْتِي، إلى طلابِ المعالي  
 فمهيضُ الجناحِ أَلْفِ دارٍ      قد رَنا اليوم للفضاءِ العالِي<sup>(٦)</sup>

(١) الترياق: الأفيون.

(٢) يقول: إن لم يستطع الإنسان المجاهدة على هذه الأرض، فاشتغاله بالفلك وما وراءه حرام.

(٣) يرى إقبال أن الحياة الخالدة بقوة الذات. فمن حسب ذاته تراباً كالجسم لم يخلص من خشية الموت.

(٤) ناري شديدة الالتهاب، فأنا قادر على إحراق هشيم آسيا؛ أي أمها التي هي كالهشيم؛ أي إزالة مفسدها وإعدادها للحياة.

(٥) إقبال قليل المخالطة للناس؛ ولكن بيانه سائر فيهم.

(٦) إقبال دعا إلى طلاب المعالي العاكفين على الأفيون حتى طمحت الطير الداجنة؛ كسيرة الجناح إلى عنان السماء لتطير.

فعداء التغريد في الأسحار وحنين ومُتعةُ الأبصار<sup>(١)</sup>

(١) دعاء على إقبال بأن يحرم مما يحب من التغريد... إلخ جزاء إيقاظه الغافلين.

## القسم الأول الإسلام والمسلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

### الصبح

إنا لنجهل مطلع الصبح الذي      يُدعى بيومٍ أو غدٍ في الأزمنِ  
لكنما الصبحُ الذي ارتجّت له      ظلّم العوالم، من أذانِ المؤمنِ

### لا إله إلا الله<sup>(١)</sup>

مُشْتَسِرٌّ في الذات معنَى بعيدٌ      سرُّه لا إله إلا الله  
سيفُ الذاتِ قاطعٌ غير نابٍ      شَحْدُهُ لا إله إلا الله  
عصرنا يبتغي خليلاً حطوماً      وُثْنُهُ. لا إله إلا الله<sup>(٢)</sup>  
إن دنياك مَوْتَن لا تصدِّق      زوره. لا إله إلا الله

(١) بنى الشاعر هذه الأبيات على كلمة التوحيد بلفظها العربي، فجهدت في الملائمة بينها وبين الوزن وجعلتها ردفاً وبنيت الروي قبلها على الهاء غير ملتزم حرفاً آخر.

(٢) الوثن جمع وثن والموثن مكان الأوثان.

ربحـه! لا إله إلا الله	في متاع الغرور تسعى وتبغي
نفسه! لا إله إلا الله	يا أسير الخسار والربح ينسى
كلـه. لا إله إلا الله	مالُ دنيـاك والبنبون خداع
وهـمـه. لا إله إلا الله	هي أصنام واهمٍ قد براها
كفره. لا إله إلا الله	حبس العقل في مكان ووقت
غلـه. لا إله إلا الله	لا زمانٌ ولا مكانٌ فحطم

### الاستسلام للقدر

يقول إقبال في هذه الأبيات: إن المسلمين احتجوا بالقرآن في القصور  
عن السعي، ومن هذا القرآن نفسه ملك المسلمون الآفاق. وقد ركنوا  
اليوم إلى القدر وكان عزمهم من قبل قدرًا. والحق أن العبودية بدلت  
النفوس فأروا حسنًا ما كان عندهم قبيحًا.

وبالقرآن قد ملكوا الثريا	من القرآن قد تركوا المساعي
وكان زماغهم قدرًا خفيا	إلى (التقدين) زدوا كل سعي
فما كرهوه صار لهم رضىًا	تبدلت الضمائر في إسار

## المعراج

الذرة التي يملوها الشوق تعلقو على الشمس والقمر، والدراجة إذا ملأ صدرها الحماس قاتلت الصقر؛ فإنما القوة الحق قوة الروح، لا شيء يستعصى عليها.

وذرة طار فيها الشوق صاعدة      تُغِيرُ فِي عَرَصَاتِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ  
يا رفقّة المَرَجِ! تلقى الصقر مُقَدِّمَةً      دُرَاجَةً تَمَلَأُ الْأَنْفَاسَ مِنْ شَرَرِ  
المسلم السهم، والأفلاك غايته      سرائر الروح في المعراج فاذكر<sup>(١)</sup>  
جهلت (والنجم) أسرارًا فلا      ما زال مَدُّكَ مُحْتَاجًا إِلَى الْقَمَرِ<sup>(٢)</sup>

### إلى سيد مصاب بالفلسفة ...

لو لم تُؤَلِّ «ذَانِكَ» النسيانا      لَمْ تَحْمِلَنْ زُنَّارَ (بَرْجَسَانَا)<sup>(٣)</sup>  
أصداف (هكيل) من الخوالي      طَلَسَمَهُ جَمِيعَهُ خِيَالِي  
فكيف صاح تُحَكِّمُ الحِياةَ      وكيف تجتاز الزمانَ (الذات)؟  
وظَلَبُ الْإِنْسَانِ لِلثَّبَاتِ      وقصدهُ دستور ذي الحِياة؟

(١) يريد أن في المعراج سر الروح؛ وهو رمز إلى أن المسلم سهم هدفه الفلك.  
(٢) جهلت أسرار الآيات في أول سورة النجم، التي يذكر فيها الوحي وتقريب الرسول إلى ربه. وليس جهلك عجيبة فإن نفسك لم تكمل ولا تزال خاضعة لما يؤثر فيها محتاجة إليه، كما يحتاج البحر إلى القمر في مده.

(٣) برجمون فيلسوف فرنسوي ويلفظ اسمه في الهند بركسان وهكيل فيلسوف ألماني.

يُحوّل الدجى إلى الإشراق  
 وإنني في الأصل سُومناتي  
 وأنت من أولاد هاشمي  
 في عَصْبِي فسلفَةُ الأشياء  
 أحاط إقبالُ بها تفصيلاً  
 عاقبةُ العقلِ إلى شتاتٍ  
 ونَعْمَةُ الأفكارِ دونَ صسوت  
 الدين في حياتنا تقسيم  
 (قلبك فاربط بالهُدى المحمدي  
 إن تك بالطريق غيرِ داري  
 أذانُ مؤمنٍ نِدا الآفاق  
 إلى مَناءَ سَلْفِي واللات<sup>(١)</sup>  
 وطيتي من نَسْلِ بَرَهَمِي  
 قد مُزَجَّتْ بطيتي ومائي  
 وإن يكن عرفانُه قليلاً  
 فلسفةُ بُعدٍ من الحياة  
 لِلذَّةِ الأعمالِ حادي الموت  
 الدين أحمدٌ وإبراهيمُ  
 «أبا علي» اتركْ يا ابن علي  
 فالقرشي اتبعه لا البخاري<sup>(٢)</sup>

## الأرض والسماء

صاحِ عَلى الذي رأيتَ ربيعاً  
 سالكَ النهجَ ! كلَّ حينٍ شُئُونُ  
 هو في أعينِ خريفِ الزمان  
 لا تفكّر في الريح والخسران  
 هو ما خلّته بدنياك أوجاً  
 هو أرض لعالمٍ غابَ ثابِ

## اضمحلل المسلمين

(١) سومنات معبد كبير في الهند هدمه السلطان محمود الغزنوي حينما فتح الهند، ويشيده الهنادك

اليوم. واللات ومناة من أصنام العرب.

(٢) هذان البيتان من شعر الخاقاني في «تحفة العراقيين» وأبو علي والبخاري في البيتين: ابن سينا.

إن كان ذا الذهبُ الذي      يقضي الحوائجَ في الدُّنى  
 فالفقْرُ صاحِ مَيَسْرُ      منا لا يُيسِرُهُ الغِنَى  
 شُبَّانُ قومي لو تحلُّوا      بالشجاعةِ ديدنا  
 لم تُلفَ صغلكتي أقلُّ      من الملوكِ تَصُونَا  
 الأمرُ ليس كما زعمتَ      وقد وصفتَ المؤمنَا  
 فزعمتَ أن طماحه      من قِلَّةِ المالِ اثني  
 إن كان في الدنيا بدا      لي جوهرٌ فيه سنا  
 فمن التصعلكِ قد بدا      لا بالخزائنِ والقنَى

### العلم والعشق

قال لي العلمُ غُرورًا:      إنما العشقُ جنونُ  
 قال لي العشقُ مجيبيًا:      إنما العلمُ ظنُّينُ  
 لا تكن سوسَ كتاب      يا أسسيرًا للظنونِ  
 فمن العشقِ شهودُ

وممن العلمُ حجاب

من لهيبِ العشقِ ثارت      ثورةٌ في الكائناتِ  
 وشهودُ (الذاتِ) للعشقِ،      وللعلمِ الضغفاتِ  
 وممن العشقِ ثبات      وحياةٌ ومماتِ

عِلْمُنَا سُؤَالَ جَلِيٍّ

عِشْقُنَا خِشْقَنَا فِي الْجِوَابِ

مِعْجَزَاتُ الْعِشْقِ مُلْكٌ زَانَهُ فَقِيرٌ وَدِينٌ

وَعَيْبُ الْعِشْقِ أَدْنَسَا هُمْ لَهُ عَرْشٌ مَكِينٌ

وَمَنْ الْعِشْقُ زَمَانٌ وَمَكَانٌ وَمَكِينٌ<sup>(١)</sup>

إِنَّمَا الْعِشْقُ يَقِينٌ

وَبِهِ يَفْتَحُ بَسْمَاتُ

أَلْفَةُ الْمَنْزِلِ فِي شَرَعٍ مَسْنُوعٍ مِنَ الْخُبِّ حَرَامٌ

خَطَرُ الْبَحْرِ حَلَالٌ رَاحَةُ السِّبْزِ حَرَامٌ

خَفَقَةُ الْبَرْقِ حَلَالٌ وَفِرَّةُ الْخَبِّ حَرَامٌ<sup>(٢)</sup>

عِلْمُنَا نَسْلُ كِتَابِ

عِشْقِنَا أُمُّ الْكِتَابِ

(١) يستعمل كثيراً في الأدب الإسلامية غير العربية كلمة مكين مع مكان، ويراد بها من يحل في المكان.

(٢) الحب لا يرضى القرار ففي شرعه ألفة المنزل حرام، وحلال ركوب الخطر في البحر، وحرام الدعة على البر. وخفقة البرق التي تحرق البيدر حلال، ووفرة الحب أي الجمع والادخار وحب السلامة حرام. وذكر البرق والبيدر شائع في الشعر الفارسي والأردني.

## اجتهاد

حكمة الدين كما قد زعموا  
 ما بها لذة سعيٍ دائمٍ  
 أين منهم جرأة العقل لدى  
 آه للتقليد والأسر بما  
 بدّلوا القرآن لا أنفُسهم  
 وكفى القرآن نقصًا أنه  
 علّمت في الهند من أي طريق؟  
 لا ولا فيها من الفكر العميق  
 مخفل يهفو إلى الفكر مشوق  
 ألفوه وزوال التحقيق  
 كم فقيه مُبعدٍ من توفيق<sup>(١)</sup>  
 ما هدى المؤمن منهاج الرقيق<sup>(٢)</sup>

## شكر وشكوى

لك الحمد إني عبدٌ جهولٌ  
 منحت القلوب هيامًا جديدًا  
 ومن حرّ شذوي يرى في الخريف  
 ولكن خلقت بأرضٍ بها  
 ولكن وُصِلت بسرّ الغيوب  
 أثرت البعيد به والقريب  
 طروبًا بصحبتى العندليب  
 نفوس العبيد برقٍ تطيب

(١) كرر إقبال هذا المعنى في شعره، يقول: إن النفوس قد ضعفت فأولت القرآن تأويلًا يلائم ضعفها إشفاقًا من تكاليفه.

(٢) يعني أن الذين بدلوا القرآن المذكورين في البيت السابق لم يجدوا في القرآن طريقًا إلى العبودية التي سكتوا إليها، فحسبوا القرآن ناقصًا.

## الذكر والفكر

- ذَانِ لِلسَالِكِ الطَّمْنُوحِ مَقَامٌ      نَزَلَتْ فِيهِ «عَلَّمَ الْأَسْمَاءَ»<sup>(١)</sup>  
 وَمَقَامُ التَّفَكِيرِ قَوْلُ ابْنِ سِينَا      وَمَقَامُ العَطَّارِ بِالذِّكْرِ ضَاءً<sup>(٢)</sup>  
 وَلِذِكْرِ «سَبْحَانَ رَبِّي»      وَالفِكْرُ يقيسُ الزَّمَانَ والأَرْجَاءَ<sup>(٣)</sup>

## شيخ الحرم

- يَخْفَى عَلَيْكَ مَقَامُ آدَمَ فِي الِوَرَى      فَالِنَفْسُ مَا نَالَ الإِلهَ وَصَالَهَا<sup>(٤)</sup>  
 مَا فِي أذَانِكَ مِنْ صَبَاحِي دَعْوَةٍ      أَوْ فِي الصَّلَاةِ جَمَالَهَا وَجَلَّالُهَا

## القدر

يقول إقبال في هذه الأبيات: إن القضاء يبدو غير تابع للمنطق، ولعل له منطقًا خفيًا. وعلى كل حال نرى حقيقة لا جدال فيها هي أن عين القضاء تنظر إلى مساعي الأمم. فتقضي فيها على قدر مساعيها.  
 ربمما يبلغُ اللئيمُ مُنَاءً      وينالُ الكريمُ ضيمُ الزمانِ

(١) الآية: وعلم آدم الأسماء كلها.

(٢) في الأصل: العطار والرومي؛ أي فريد الدين العطار وجلال الدين الرومي، وهما من كبار شعراء الصوفية.

(٣) الذكر يتصل بالحقيقة الإلهية، والفكر في شغل بقياس الزمان والمكان.

(٤) يخفى عليك مقام الإنسان، ولهذا أخذت إلى الأرض فلم تصل إلى الله.

عل في منطق القضاء خفاءً      ويُرَى دون منطق في العيان  
 عَلِمَ الناسُ ذي الحقيقة طراً      وجلالها التاريخ كل أوان

نحو مسعى الأقسام يرنو القضاء      نظرة كالحسام فيها مضاء

## التوحيد

قوة كان في الحياة على الأرض      فصار التوحيد علم الكلام  
 رده في الفعال غير مضيء      جهلنا اليوم ما لنا من مقام  
 قائد الجيش! قد رأيت غموداً      من «هو الله» ما بها من حسام<sup>(١)</sup>  
 ما درى الشيخ أن توحيد فكر      دون فعل، يُعدّ لغو كلام<sup>(٢)</sup>  
 يا إماماً لركعة كيف تدري      في الوزي ما إمامة الأقسام؟

(١) رأيت غموداً ليس فيها حسام من التوحيد، وفي الأصل: من «قل هو الله» أي: قل هو الله أحد.

(٢) لا يفيد توحيد الأفكار دون توحيد الأفعال، فإن ثمرة وحدة الفكر وحدة العمل.

## العلم والدين

العلم وحده عاجز مُضِل حتى يتصل به القلب ويصاحبه الإيمان، ويهديه العشق. فإن كان كذلك خلق هو إبراهيم ليحطم أوثانه التي يصنعها. هذا شأن الحياة لا قديم فيها ولا حديث. والعلم والبصيرة أو العقل والقلب كالطل والنسيم لا بد من اشتراكهما في تربية الزهر.

العلم يخلق إبراهيم موثنه      إذا تراه نديم القلب والنظر  
هذي الحياة وهذا الكون، ما بُدلا      ما مُحدثٌ وقديمٌ قولٌ ذي بصر  
ما يُحسِنُ المرجُ تريبَ الزهور إذا      لم تَشْرِكِ النسماتُ الطلَّ في الزهر  
العلم إن لم يُضِفْ نَجوى الكلم      رأيَ الحكيمِ فما للعلم من قدر

## المسلم الهندي

قال البرهمن: خائنٌ أوطانه      والإنكليزُ تقول: هذا مجتدى  
وثبوة البنجاب قالت: كسافر      مستمسكٌ بقديمه لا يهتدي<sup>(١)</sup>  
أيان صوت الحق يعلو هاهنا؟      ويلٌ لقلبي في الصراع المُجهد<sup>(٢)</sup>

(١) نبوة البنجاب يقصد بها من ادعى النبوة في البنجاب.

(٢) هذا الشطر مضمن في الشعر، وقد جاء في الأصل بلفظ فارسي.

## على ذكر الإذن بحمل السيف

إذن الإنكليز للناس بحمل السيوف بعد أن حرم حمل السلاح كله  
فنظم إقبال هذه الأبيات:

أيها المسلم تَنذري اليومَ ما	قيمةُ الفولاذِ والعَضْبِ الذَكَرِ
هو مصراعٌ من البيت الذي	مضمَّرٌ فيه من التوحيدِ بِسَرِّ
وأرى مصراعه الثَّانِي في	سيفٍ فقَّرَ تحتويه كُفُّ حُرِّ
أنتَ يا مسلمٌ - إن تظفر به -	خالدٌ أو حيدرٌ يومَ المَكْرِ <sup>(١)</sup>

### الجهاد ...

قامت طائفة في الهند تنكر الجهاد، تقول: إن هذا عصر الدعوة بالقلم  
لا القتال بالسيف وتدعو المسلمين إلى السلم. فيأخذ عليهم إقبال أنهم  
يدعون المسلمين ولا سلاح في أيديهم، ويتركون الأمم المدججة في  
السلاح التي تشن الحرب بين الحين والحين.

الشيخُ أفقَى أنه عصرُ القلم	ما السيفُ فيه حاكمٌ بين الأُمم
أما درى الشيخُ بأن وعظَه	في مسجدٍ قد صار من لغوِ الكليمِ؟
فما ترى السلاحَ كُفُّ مسلم	بل قلبُه من لذَّةِ الموتِ حُرِّم

(١) يريد خالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب.

مَنْ قَلْبُهُ يَهَابُ مَسُوتَ كَافِرٍ  
فَعَلِمَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ طَاغِيَا  
أَمَا تَرَى الْغَرْبَ بَدَا مُدَجَّجًا  
يَا مُفْتِيَا عَلَى الْكَنِيسِ مُشْفَقًا  
الْحَرْبُ فِي الْمَشْرِقِ شَرٌّ دَاهِمٌ  
إِنْ يَتَّبِعِ الْحَقُّ فَكَيْفَ حَاسِبٌ  
فَكَيْفَ مَيْتَةَ الشَّهِيدِ يَغْتَمُّ؟<sup>(١)</sup>  
مِنْ كَفِّهِ يَسِيلُ فِي الْعَالَمِ دَمٌ  
لِيَحْفَظَ الْبَاطِلَ فِي عِزِّ عَمَمٍ؟  
قَدْ حَارَ فِي أَحْكَامِهِ أَوْلُو الْفَهْمِ  
وَالْحَرْبُ فِي الْمَغْرِبِ شَرٌّ لَا جَزَمَ  
لَا الْفِرْنَجَ ذَلِكَ الْحَكَمَ؟

## القوة والدين

كَمْ أَصَابَ الْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الْأَرْ  
وَيَقُولُ التَّارِيخُ فِي كُلِّ عَصْرٍ:  
هِيَ سَيْلٌ غُثَاوُهُ الْفَنُّ وَالْعِلْمُ  
وَهِيَ سُومٌ بغير دين. وبالدين  
ضَمَّ مَنْ إِسْكَنَدَرٍ وَمَنْ جَنْكِيزِ  
خَطَطَرٌ فَزَطُ قُوَّةٍ لِعَزِيزِ  
وَمَا أَثَلَّ الْوَرَى مِنْ كَنْسُوزِ  
دَوَاءٌ لِكُلِّ سُومٍ نَجِيزِ

## الفقر<sup>(٢)</sup>

الْفَقْرُ يَمْضِي بِلا سِلَاحِ  
وَكُلُّ ضَرْبٍ لَهُ سَدِيدِ  
فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ كَالرَّجُومِ  
إِنْ ثَارَ مِنْ قَلْبِهِ السَّلِيمِ

(١) يريد بموت كافر الموت في غير جهاد.

(٢) انظر الكلام على الفقر في المقدمة.

حَمَاسُهُ قَصَّ كُلَّ عَصْرٍ      قِصَّةَ فِرْعَوْنَ وَالْكَلِيمِ  
 يَا غَيْرَةَ الْفَقْرِ أَنْجَدِينَا      وَاهْدِي إِلَى نَهْجِكَ الْقَوِيمِ  
 عِبَادَةُ الْغَرْبِ جَمَعَ مَالٍ      تَنَخَّرُ فِي رُوحِهِ السَّقِيمِ  
 الْعَشْقُ وَالشُّكْرُ مَا أَبَاحَا      أَنْ أَضْبَطَ النَّفْسَ فِي هُمُومِي  
 فَعُقْدَةُ الْكَيْمِ لَمْ تَفُتِّحْ      إِلَّا بِمَوْجٍ مِنَ النَّسِيمِ<sup>(١)</sup>

## الإسلام

إِنَّ نَارَ «الذات»، والنورُ لديها      هي للإسلام رُوحٌ مستنير<sup>(٢)</sup>  
 إِنَّ نَارَ «الذات»، فاقبس من لظاها      في حياة الخلقِ نورٌ وسُفُورٌ  
 هي تقويمٌ وجودٌ وهي أضلُّ      للتَّجَلِّيِ أُخْفِيَتْ خَلْفَ سُتُورِ  
 إِنَّ قَلَى الْغَرْبِ مِنَ الْإِسْلَامِ لَفْظًا      فَلَهُ اسْمٌ آخَرُ: الْفَقْرُ الْغَيُورُ<sup>(٣)</sup>

(١) كم الزهر لا يفتح إلا بالنسيم، وبيان الشاعر وشكواه كالنسيم تفتح بهما نفسه.

(٢) روح الإسلام هي الذات نارها ونورها.

(٣) أن نفر الفرنج من لفظ الإسلام، فنحن نسميه اسماً آخر فيه حقيقته هو الفقر الغيور (انظر الفقر

في المقدمة).

## الحياة الأبدية

يؤكد الشاعر في هذه الأبيات رأيه في الذات أنها مقصد الحياة، وأنها  
 إن قويت واستحكمت لم تمت.  
 صدَّف لنا هذه الحياة، وذاتنا كالقطر من نيسان في الصدَّفات  
 ما قيمة الصدف الذي لا يستطيع يُحيل قطرات إلى ذرات  
 إن صانت الذات المتينة نفسها أعيت على الأيام كلَّ ممات

## السلطان<sup>(٢)</sup>

السلطان الحق هو أحد شئون الفقر، كما يفسره الشاعر، فهو تجلي  
 «الذات» - ذات الفقير - بالتسلط. وليس السلطان طغياناً أو بغياً... إلخ.  
 تعلم؛ فألف مقام وشانٍ لفقير بدا فيه روح القرآن  
 إذا أنجلت (الذات) في قهرها فهذا مقام لملك الزمان  
 وتوزن في ذا المقام القوي قُوى مؤمن تُبتلى بامتحان  
 وإنك في ذا المقام عظيم وظلُّ من الله في ذا المكان

(١) يقال: إن الأصداف تكون على سطح الماء مفتوحة، فإذا نزل مطر نيسان تدخل في كل صدفة

قطرة منه فتطبق عليها حتى تتحول درة. والشاعر يجعل الحياة صدفة، والذات قطرة من

نيسان. ويريد أن تحكم الحياة الذات كما تحيل الصدفة القطرة درة.

(٢) كتب في بهوبال في رياض منزل (دار السيد راس مسعود).

وما ذاك بغي وقهر ولكن  
 فما استطاع بقهر وبغي  
 وأعياك في الدهر حفظاً لفقر  
 وكان على الدين سيما سجود  
 وكان على الشمس منه سناً  
 هو العشق والوجد ملء الجنان  
 على الأرض حفظ الورى في أمان  
 فأصبحت في الرق خدن الهوان  
 ثباري الكواكب ملء العيان  
 فهل في نجومك منه معان؟

### إلى الصوفي

ترى عينك دنيا المعجزات  
 ومن دنيا الخيال عجب، فاعجب  
 تبدل لها بنظرة غير واع  
 وفي عيني دنيا الحادثات  
 لدنيا للحياة وللممات  
 وكم تدعوك دنيا الممكنات

## صريح الفرنج

-١-

من تجلّى الفرنج نلت وجودا      فهمو منك هيكلًا قد أقاموا  
ومن (الذات) هيكل الثُرب خالٍ      أنت غمْدٌ مذهَّبٌ لا حسام

-٢-

ووجود الإله عندك ريبٌ      وأرى الريبَ في وجودك أنتا  
إنما الكون جوهر (الذات) يُجلّى      فانظرنُ أيُّ جوهر قد دفتا

## التصوف

يقصد الشاعر أن علم الكلام إن لم يصلح الدين فهو لا شيء. وكذلك  
الذكر الذي لا يحفظ «الذات» والعقل الذي لا يصحبه العشق، والفكر  
الذي لا يستجيب له القلب.

إن علم اللاهوت في ملكوتِ      ليس للدين آسيا - ليس شيئًا  
وقيامُ الأسحار في طول ووجد      ليس للذات راعيًا - ليس شيئًا  
ذلك العقل صاعدًا للثريا      ليس بالوجد ساريًا - ليس شيئًا  
ينطق العقل «لا إله» ولكن      ليس بالقلب مسلمًا - ليس<sup>(١)</sup> شيئًا  
كلماتي خوفاق وسنا الإصباح      لم يبدُ خافقًا - ليس شيئًا

(١) أي يقول العقل: «لا إله إلا الله»... إلخ.

## الإسلام الهندي

بوحدة الأفكار تحيا أمة  
لا تحفظ الوحدة إلا بالقوى  
يا عابداً ليس لديه قوة  
وهات إسلاماً به تصوّف  
للشيخ في الهند أجزت سجدة  
فحسب الإسلام حُرّاً سيّداً  
ودونها الإلهام يُلْفَى ملحدًا<sup>(١)</sup>  
لم يفلح العقل هنا ولا اهتدى  
أذهب إلى كهف وسبح واعبدا  
إلى الردى والذل واليأس هدى  
فحسب الإسلام حُرّاً سيّداً

قطعة<sup>(٢)</sup>

ما القلب مات، قلب  
يمحو والفؤاد داء  
بحرّك في سُكون  
لا وحشش أو هياجاً  
وفي السماء سرّ  
ما هاج طرفُ نجم  
فأحي ذا الرميم  
في أمم قديما  
سُجّر أم أنيمسا؟  
أو سباحلاً لطيمسا  
لست به عليم  
منك فتى كليما

(١) بغير توحد الأفكار تعم القوضى. فالإلهام الذي هو سبيل الإيمان يصير إلحاداً.

(٢) عنوان هذه القطعة في الأصل (غزل). والغزل عندهم أبيات قليلة تجمع أفكاراً مختلفة.

أبَاءَكَ الْهَيْمَانِيَّةَ <sup>(١)</sup>	رَمَى نَشِيدُ صَبْحِي
فِي طَيْتِي قَدِيمَا	شَّرَارَةً أَكْنُتْ
يُصْرَهَا عَلِيمَا	دُنْيَا غَدٍ وَأَمْسِ
جَرِيئَةً هَجُومَا	مَنْ حَازَ مِثْلِي عَيْنَا

### الدنيا

أنا كذلك أبصر دنيا الألوان التي تشبهه بوقلمون، وأعرف الهلال والنجم  
والسما والارض... إلخ. ولكني أرى أن الإنسان وجود حق وما عداه  
ليس شيئاً.

وَقَلْبُكَ فِي الْمَلَكُوتِ النَّظَرِ	كَذَا كُمْ بَدَا لِي بُوَقْلَمُونِ
وَهَذَا عَقِيقٌ وَهَذَا حَجَرٌ	فَهَذَا هَلَالٌ، وَهَذَا نَجْمٌ
فَأَوْحَتْ إِلَيَّ صَحِيحَ الْخَبَرِ	وَعَيْنُ الْبَصِيرَةِ أَعْلَمَتْهَا
وَذَلِكَ طُودٌ وَهَذَا نَهْرٌ	فَهَذَا تَرَابٌ وَتِلْكَ سَمَاءٌ
وَلَا شَيْءَ مَا سَاحَ فِيهِ الْبَصَرِ	وَلَا أَكْتَمَ الْحَقُّ: أَنْتَ وَجُودٌ

(١) الأبياء القصب، وهو سريع الاحتراق. ثم القصب يحرق أحياناً لإخصاب الأرض، فالشاعر  
يعني أنه يحرق الأنفس لتزداد حياة.

## الصلاة

الأصنام لم تنقطع عبادتها، فلا تزال تظهر بين الناس في صور مختلفة فتعبد ضروب العبادات. فاعلم أن سجود الصلاة الذي يثقل عليك ينجيك من آلاف السجود لهذه الأصنام.

تلوّن في كل ثوب مناةً وشاب بنو الدهر وهي فتاة  
فهذا السجود الذي تجتويه به من ألوف السجود نجاة<sup>(١)</sup>

## الوحي

العقل ظن وتخمين لا تضيء به النفس فلا تنجلي به ظلمات الحياة؛ وإنما إدراك الحسن والقبيح بالوحي. وهذا لا يتاح إلا بأن تجلو الحياة أسرارها بنفسها.

ليس هذا العقل ذو الوهم — من حريّاً بالأمامة  
فحياة الظن والتخمين ضاعف وساقمه  
ليس في فكرك نور أو إلى السعي استقامه  
كيف يجلو في حياة ذلك الليل ظلامه؟  
إن لغز الحسن والقبح ليعيي ذا الفهامه  
حين لا تجلو الحياة الس — ر منها مستهامه

(١) تجتويه: تكرهه.

## هزيمة

خلا الصوفي من حُرَق وكد  
 وفِرَّ إلى ترهبه فقيهه  
 شرابُ (ألسْتُ) معذرةُ البطاله<sup>(١)</sup>  
 يرى في الشرع معترك البساله<sup>(٢)</sup>  
 إذا خشي الرجال وغى حياة  
 فتلك هي الهزيمة لا محاله

## العقل والقلب

سيطر العقل على الكون أميرًا  
 وطيوى الأفلاك والأرض مسيرا  
 ذا جلالٍ يخضع الكون له  
 غيرَ قلبٍ ثار بالعقل جسورا

## سكر العمل

في طريق الصوفي سُكْرُ الحال  
 ونشيد الشِعْر المرَجَّع مَيِّت  
 وطريقُ الفقيه سُكْرُ المقال  
 خامدُ اللحن لم يُشَبَّ بجَمال  
 بين نوم وبقظة غيرُ صاح  
 وبين سُكْر الأفكار والبلبال  
 وبنفسي مجاهد لا أراه!  
 فيه سكر الأعمال لا الأقوال

(١) يوم الست أو عهد «الست» إشارة إلى الآية: {ألسنت بربكم}. فالصوفي في سكر بذكري ألسنت يتعلل به ويعتذر لبطالته.

(٢) لما رأى الفقيه أن الشرع جهاد وكفاح فز إلى الترهيب.

## القبر

فكرة الشاعر أن النفس القوية المجاهدة لا تسكن في الحياة ولا بعد الموت. والقلندر أو القلندري الحر الذي لا يركن إلى سكون، ولا تقيده رغبة أو رهبة (راجع المقدمة).

لا يجسد القلندري راحة وإن ثوى بقبره تحت الثرى  
سكينة الأفلak في الضريح لا فساحة الأفلak أو طول السرى

## همة القلندر

يقول للزمان ذلك الفتى: امض إلى حيث يسير المؤمن  
مالك في معركي من طاقة حذار من قلندر لا يُذعن  
إذا طفى اليم فهياً أقدمن ما حاجتي ملاحه والسفن  
لقد محا سحرك تكبيرى فهل تقوى على جحوده يا وهن؟

وقاهر أيامه لا يقهر

يحاسب الأفلak ذا القلندر

## الفلسفة

ليس يخفى على القلندر فكرُ  
أنا عندي بكسل حالكُ خبِرُ  
لا يقيم الحكيمُ في شَرِكِ اللفظ  
ليس همُّ الغوَاصِ أصدافُ بحرٍ  
إن في حلقة المجانين عقلاً  
إن أغلى من الجواهر، معنى  
فلسفاتُ ما سطرت بدم القلب  
ساوَرِ النشءَ ظاهراً أو خفياً<sup>(١)</sup>  
فبهذا الطريق سرثُ ملياً  
ولا بالحروف كان خفياً  
يبتغي الغائصون دُرّاً بهياً  
في شرار يرى لهيئاً مضياً<sup>(٢)</sup>  
صدّق القلبُ سرّه مطويًا  
مَوَاتٌ أو للممات تُهَيَّا

## رجال الله

إنما الحرُّ من يُجيد ضراباً  
وسجايا الأحرار تجمع تاجاً  
من خفياً تُرابهم أخذ الدهرُ  
فطرة حرّة تعاف الدنيا  
لا الذي حرُّبه تدور هُراء  
ذا سناء، وخرقةً وقَبَاء<sup>(٣)</sup>  
شَرارًا فصاغ منه ذكاء  
من طواف الأصنام عاشت براء

(١) القلندر هنا إقبال نفسه.

(٢) بين الذين يعدون مجانين من أصحاب القلوب الحية من يرى الحقائق الكبيرة في مظاهر صغيرة، فيرى في الشرارة لهيئاً عظيمًا.

(٣) سحبة الحر فيها عظمة الملك وفيها خلق الصوفية لابسي الخرقة، وفيها فقه العلماء لابسي القباء.

أنت في الكفر والتدين جمعا وثني تُقدّس الأهواء<sup>(١)</sup>

## الكافر والمؤمن

يكرر الشاعر هذا المعنى كثيراً: إن المؤمن منسيطر على الكون يتصرف فيه، لا يضل فيه ولا يحار، فهو سائر على قانون يرفعه على الأحداث والغير، وأن غيره مقهور في الكون حائر، تتلقفه أحداثه، وتقلبه غيره.

والفكرة مأخوذة من مثنوي جلال الدين الرومي. فقد قص المثنوي قصة افتقاد حليلة الرسول في طفولته وطلبها إياه والهة، وأن جبريل لقيها فقال لها: لا تخشي عليه أن يتيه في الأفاق، فهذه الأفاق تتيه فيه:

أمس عند البحر قال	الخضر لي قولاً أعيه <sup>(٢)</sup>
تبتغي الترياق من سمّ	فرنج تتقيه؟
فخذن قولاً سديداً	هو بالسيف شبيهه
ذا مضاء وضياء	خبرة الصيقل فيه:
إنما الكافر حيران	له الأفاق تيه
وأرى المؤمن كونا	تاهت الأفاق فيه

(١) الأحرار منزهون عن عبادة الأصنام وأنت في إيمانك وكفرك لا تخلو من عبادتها.

(٢) يروى أن الخضر صاحب إسكندر حتى بلغا أرض الظلمات، وفيها عين الحياة فشرب منها الخضر فخلد ولم يهتد إليها إسكندر. فينسب الشعراء إلى الخضر المعرفة والحكمة، ويقولون عنه ما يشاءون.

## المهدي الحق

كلُّ نوى في محبس من صنعه:      سيَّارُ إفرنج وثابتٌ مشرق<sup>(١)</sup>  
والشيخ في حرم وخبز كنيسة      لا جدَّة في القول أو في المنطق  
أهل السياسة في شرك قديمهم      والشعرُ أفلس في خيال مُغلق  
من لي بمهديٍّ له نظر يزلزل      عالم الأفكار، غيرَ مُمخرق

(١) الفرنجي الدائب في العمل كالكوكب السيار، والشرقي القاعد عن السير كالكوكب الثابت.

## المؤمن

-١-

## في الدنيا

مع الصحب لئن كمتي الحرير      بعيد من المحك، المؤمن<sup>(١)</sup>  
 حديد إذا ما طغى باطل      جريء لدى المفرك، المؤمن  
 من الطين، لكن على الطين يسمو      ويأبى على الفلك، المؤمن  
 وما همّه صيد طير ولكن      يصيد من الملك، المؤمن

-٢-

## في الجنة

تقول الملائك في غبطة:      حبيب إلى قلبنا، المؤمن  
 وللحور شكوى إلى ربها:      سريع إلى هجرنا، المؤمن

(١) القافية مردوفة بكلمة «المؤمن» والروي الكاف التي قبلها.

## محمد علي الباب

ناقش جماعة من العلماء في إيران محمد علي المسمى الباب، فقرأ من القرآن فلحن في إعراب السماوات؛ فضحك الحاضرون فقال: إن بشرى أمامتي تحرير الآيات من الأعراب.

مفـيـضـا فـي مـقـالـات	أجاب (الباب) في حفل
بـإـعـراب (السـمـاوات)	وفات الشيخ توفيق
فـلا قـوـه بـيـسـمات	سرت في الحفل غلطه
وفـاتـكـم مـقـامـاتي	فقال (الباب): لم تدروا
فـي حـبـس وإـعـنات	ثسوى القرآن بالإعراب
بـتـحـرـيـر لـآيـات	وإن إمامتي جاءت

## القدر<sup>(١)</sup> الخالق وإبليس

إبليس: يا إلهًا أمره كن  
لم يُصَبْ آدمُ منسى  
ويصل غيري، من زمان  
كيف أستكبر عن  
كان في علمك أني  
ليس عنه من مَحِيذٍ  
بعـدوٍ أو حـسود  
ومكان في حدود  
أمرك أو كيف أحيذ  
حائد عن ذا السجود

\*\*\*

الخالق: هل عرفت السر هذا  
إبليس: بعدًا يا مَنْ مِنْ تَجْلِيهِ  
الخالق (نـسـاطـرًا إلى الملائكة)  
قـبـلَ أو بـعـدَ الجـحـود؟  
كـمـالـاتُ الـوجـود

خـسـةُ الفـطـرة فيهِ  
قال: ما شئت سجودي  
ذلك الظالم سَمِي  
إنه سَمِي زَمَادًا  
علمته ذلك عذرا  
أنا لا أملك أمرا  
اختيارًا فيه جبرا  
شعلة فيه وجمرا

(١) مأخوذة عن محيي الدين بن عربي.

## أي روح محمد!

يصف الشاعر في هذه الأبيات غمه وحيرته، فالأمة الإسلامية انفرطت عقدها، وفي صدره موج ولكن بحر العرب الذين ماجت بهم أحداث التاريخ ليس فيه هياج اليوم فيخلط به هذا الموج. وهو حاد ولكن لا زاد له ولا قافلة يحدوها. وأمامه فياف هائلة. وهو حفيظ على آيات الله يبتغي أن يسير بها. فهو يلتمس سبيله في هذا العالم ويسأل روح الرسول أين يذهب.

أرى الملة البيضاء بُدِّدَ نظْمُها	فمسلّمك انظر حاله، أين يذهب؟
وليس ببحر العُرب لَذَّةُ ثُورَة	وفي الصدر موج غاله، أين
ولا ركبٌ للحادي ولا زادٌ عنده	وقطعُ الفيافي هاله، أين يذهب؟
فبيّن لنا الأسرار روح محمد!	حفيظٌ لأيّ، يا له، أين يذهب؟

## مدنية الإسلام

الجنون هنا معناه الحماس للعمل والإقدام في غير مبالاة. فحياة المسلم في رأي الشاعر تجمع العقل والأقدام. وهي كالشمس تغرب لتطلع. وهي فذة لا نظير لها ولكنها كالزمان في شئون متعددة. وهي قائمة على الحقائق وجامعة عناصر الجمال والقوة.

حياة المسلم اعرف في بياني	كمالُ العقل فيها والجنونُ
سنًا كالصبح مغربه طلوعٌ	وحيدٌ، كالزمان له شئون

ولا كالعصر، خِلْوٌ من حَياءٍ      ولا فيها من الماضي فثون  
 حياةً بالحقائق في قَرارٍ      وليست ما يُطْلِمُ أفلطون<sup>(١)</sup>  
 عناصرها يؤلفها جَمال      تمثّل فيه جبريل الأمين  
 وحسنُ الخَلْقِ من عَجْمٍ لديها      ونازُ العُربِ فيها والشجون

## الإمامة

يقصد إقبال من ادعوا الإمامة في الماضي وفي عصره. ويرى أن الإمام من يعلو بأصحابه عن قيود الحاضر المشهود إلى عالم المعنى الفسيح غير المحدود... إلخ.

أَتَسألُني: الإمامةُ ما مَداها؟      حَبَّاك اللهُ مثلي بالخفايا  
 إمامُ العصر حَقًّا من تراه      فتسألمُ ما تشاهد في البرايا  
 بمرآة الممات يريك وجه الـ      حبيب فتجتوي عيش الدنيا  
 ويُشعرك التخلّف عن كمال      فينفخُ فيك مشبوبَ السجايا<sup>(٢)</sup>  
 يُمرُّ عليك من فقرٍ مِسْنًا      فيطبغُ منك سيفًا للمنايا  
 فُتُون الملة البيضاء إمام      كأن المسلمين به سبابا<sup>(٣)</sup>

(١) ليست قائمة على أفكار أفلاطون التي ترى الحقائق في عالم المثل لا على هذه الأرض.

(٢) يشعرك ما فيك من نقص وما فاتك من كمال.

(٣) فتنة الملة الإسلامية إمام يمكن أصحاب السلطان من إذلال المسلمين.

## الفقر والترهب

يشيد إقبال بالفقر، وينسب إليه المعجزات. وهو فيما يؤخذ من كلامه -التحرر من الطمع والحرص، وألا يملك الإنسان ما يمكنه فيذله ويصده عن الحق والخير. وهو لا يشبه الرهبانية في شيء. فمن حسب الفقر رهبانية فإسلامه غير الإسلام الذي يعرفه الشاعر.

إسلامك الموهومُ شيء آخر؛	الفقر عندك كالترهب يظهر
شَتَان، فانظر، بين خلوة راهب	وشراع فقر في عُباب يمخُر
في الروح والأبدان يبغي جلوةً	فنهاية الإيمان (ذاتٌ) تبهر <sup>(١)</sup>
هو صيرفي الكائنات وجوده	فعن الفناء أو البقاء يخبر <sup>(٢)</sup>
فأسأله عما ترتئيه أعالم	أم مود رائحة ولون يزخر؟
لما أضاع المسلمون على المدى	ذا الفقر -لما ضاع هذا الجوهر
لم يبق فيهم من سليمان ولا	سلمانَ دولةً عِزَّةً لا تُقهر

(١) الضمير في «يبغي» يرجع إلى الفقر، وهو يطلب تجلي الروح والجسم. وتجلي الذات هو مقصد الإيمان.

(٢) هذا الفقر ينقد الكائنات فيقول هذا للفناء وهذا للبقاء، وهذا حق وهذا باطل.

قطعة<sup>(١)</sup>

متاعك في الحياة فنون علم  
وما عندي متاع غير قلب  
لأهل الفكر معجزة تجلّت  
وأهل الذكر شادوا معجزات  
أقول لمسلم: ما فيك صدر  
ومزقتُ الجيوبَ وأنت خالٍ  
أقلّ القولَ وافتح عين قلب  
وما إن ذلّ قوم قد أعدوا

تظّل الدهرَ منها في حُبور  
طموحٍ ما أراه بالصبور  
بفلسفةٍ معقّدة السطور  
على موسى وفرعونٍ وطور<sup>(٢)</sup>  
لأنفاسٍ بها حرّ النشور  
جنوني - لا ألومك - في قصور<sup>(٣)</sup>  
ولا تك مهذراً عند البصير  
حماس العشق والفقر الغيور

(١) عنوان هذه القطعة في الأصل «غزل» والغزل في عرف شعراء القرس ومن تقيدهم، أبيات قليلة في موضوع أو موضوعات، وربما لا تشتمل على شيء مما يسمى بالغزل في الشعر العربي.

(٢) يقصد بموسى وفرعون كل من له صفات موسى أو صفات فرعون، فلهذا نكرت الاسمين وصرفتهما.

(٣) يعني: إني لم أصيرك مثلي مجنوناً؛ لأن جنوني لم يكمل فلم يؤثر فيك، فاللوم علي لا عليك.

## التسليم والرضا

على كل غصن تبين أن النبـ      ببات مَشوقٌ لرحل الفضاء  
فما قرء في ظلمة الترب حَب      جُنونُ النشوء به والنماء  
فلا تبغ في فطرة ترك سعي      فما ذاك معنى الرضا بالقضاء

لأهل النماء فضاءً فسيحُ  
وما ضاق مُلك الإله، فسيحوا

## نكته التوحيد

بنى الشاعر هذه القطعة على القافية المردوفة فحاكيته في الترجمة،  
والروي حرف النون في موثنا ومطعنًا... إلخ.

إن سر التوحيد طوع يياني      شدت في الرأس موثنا، ما  
رمز شوق بلا إله خفي      ليس في الفقه بينا، ما احتيالي؟  
كم سرور في حرب حق وزور      لست في الحرب مطعنا، ما  
كم تُجلى الآفاق نظرة حر      حجب الرق أعينا، ما احتيالي؟  
أيُّ مُلكٍ مقامٍ فقير! ولكن      تؤثر الذلُّ مُدعنا، ما احتيالي؟

- (١) يمكن أن يبين سر التوحيد، ولكن ما حيلتي وقد بنيت في رأسك معبدًا للأوثان. وقد وضعت  
كلمتي مصنم وموثن لمكان الصنم والوثن، ترجمة لكلمتي بت كده، بتخانته ونحوهما.
- (٢) كم سرور في مجاهدة الباطل بالحق في هذه الحياة.

## الإلهام والحرية

إن للحُرِّ ملهَمًا نظراتٍ      تحفِزُ القولَ والفِعالَ بنارِ  
 حَرِّ أنفاسه يَشيعُ بروضِ      فترى الروضَ مُزهَرًا من شَرارِ  
 يهْبُ العندليبُ سيرةً بازِ      كيف حالت طبائِعُ الأطيَّارِ؟  
 يَمْنَحُ المجتدين شوكَةَ جَمِّ      عارفُ النفسِ والهَ الأسحارِ<sup>(١)</sup>  
 ووقى الله حكمةً لذليلِ      مثل جنكيز طالعِ بالدِّمارِ<sup>(٢)</sup>

## الروح والجسم

يقول إقبال في هذه الأبيات: إن همي في هذه الحياة القلق والثورة  
 والسرور والحزن، وأنت شغلت نفسك بهذه الأسئلة ولم تشعر بحقيقة  
 الحياة.

تحير الناس في ذا اللغز من قدم:      ما جوهر الروح أو ما جوهر  
 ومشكلي في اضطراب بي وفي      وثورة وسرورِ النفس والحزن  
 ومشكلٌ لك أن الخمر من قدح      أو أن من خمرة كأسا، لذي  
 ما اللفظ والمعنى؟ وكيف الروح      جمزٌ بدا في رَمادٍ منه للْفَطِنِ

(١) جم: جمشيد أحد ملوك الفرس في الأساطير.

(٢) يريد أن حكمة الذليل تدمر الأمم كغارات جنكيز.

(٣) الزكن: الفطنة.

## لاهور وكراچي

روي أن هندوكيّا في لاهور اسمه راجبال أساء الأدب في الحديث عن الرسول صلوات الله عليه، فذهب إليه مسلم علم الدين وقتله في غير ضوضاء، وأن رجلاً من الهنادك في كراچي فعل فعله فذهب إليه مسلم من كوهات في غير مشاورة ولا مؤامرة فقتله. وأراد المسلمون أن يؤدوا دية القتيلين وينجوا القاتلين من العقاب، فكتب إقبال الأبيات:

قــمــد تــســولــى اللــه عــبــدٌ	مــمــســلم مــا أــمــرــا
هــو بــالمــوت إلــى عــا	لــم رــوح ســســا فــرــا
كــيــف تــقــدــون شــهــيــدًا	لــخــلــيــود أــثــرــا
دَـمُّـه مـن حَـرَمِ أَعـلـى	وَأغـلـى جـوهرًا <sup>(١)</sup>
أه للـمـسـلم غـفـلـان	نـسـيـتـا مـا دري:
سـرٌّ «لا تـدع مـع اللـه	إلـهـا آخـرًا» <sup>(٢)</sup>

(١) يعني أن كل ما تبدلون لا يساوي دم الشهيد... إلخ.

(٢) الآية: {فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذنين} سورة الشعراء.

## النبوة

يعني الشاعر بهذه الأبيات من ادعى النبوة ودعا إلى المسالمة والكف  
عن الجهاد.

ولا الولي ولا المجدد	لست المحدث والفقية
كيف توصف أو تحدّد	لا علم عندي بالنبوة
لبي نظر مسدد	لكن إلى الإسلام في الأيام
المحيط فلا أفئد	أوحى إليّ بسرّه الفلك
فرايت في ظلمات هذا العصر	ذا الحق المؤيد:
نبوة فيهم تجدد	عندي حشيش المسلمين
للأس والمجد المخلد	ما إن لديها دعوة

## الإنسان

شئى الإنسان من قدم	ذا ظلّم الكون والعدم
يحتويه الوصف في كلم	هو سرّ الله جلّ فلا
من سفار باء بالسقم	إن هذا الدهر من أزل
لم يصب بالضعف والهزم	ومضى الإنسان سيرته
إن تسعه غير متهم:	وإليك السرّ أعلنه
ذلك الإنسان للفهم	ما بدا روحاً ولا بدنا

## مكة وجنيوا

كم حديثٍ عن الشعوب سمعنا  
وحدةُ الناس حجبت عن عيانِ  
حكمةُ الغرب فُرقةُ الناس والإسـ  
سلام فيه توخُّدُ العُمرانِ  
ومقالٍ من مكةٍ لجنيوا  
قد وعاه اللبيب في كل آن:  
ختبريني اليقين: هل عصابة الأقد  
سوام خير أو عصابة الإنسان؟

## يا شيخ الحرم

ودعِ الخلوَةَ يا شيخ الحرم  
واسمعنْ في الفجر منِّي ذا النعمِ  
يحفظُ الله لك الفتیان في  
حُكم نفيس، واشتعالٍ في الهمم  
هُم عن الغرب زجاجاً أخذوا  
علمَنهم صدمة الصخر الأصم  
طولُ ذلٍ أظلم القلبُ به  
أدرك الحيرانَ في هذي الظلم  
في جنوني منك أسرار بدت  
فاجزني يا شيخ عن هذا اللمم<sup>(١)</sup>

(١) يعني أن نشوته وولفه وقد عبر عنهما بالجنون أدركا أسرار شيخ الحرم، فأفشيها فهو يسأل الشيخ أن يكافئه عن هذا الجنون.

## المهدي

كتب سبنجلر يقول: إن ضعف المسلمين من إيمانهم بالقدر والمهدي. فرد إقبال بأن هاتين العقيدتين غريبتان عن الإسلام. وكتب مولانا أسلم جرا جبوري يأخذ على إقبال أنه يذكر المهدي في شعره أحياناً. فكتب إقبال هذه الأبيات يبين رأيه في عقيدة المهدي، ويذكر أنه يتوسل بها أحياناً إلى نفخ الحياة في موتى الأحياء.

أرى الأقسام تمضي في حياة	على قدر التخيل في الحياة
فمجنوب الفرنج على خيال	من المهدي قاد إلى النجاة <sup>(١)</sup>
فإن تنفر من المهدي يتفر	غزال المسك من هذي الفلاة <sup>(٢)</sup>
إذا ما الحي من جهل تردّي	بأكفان وأغرّق في سبات
أُسلم ذا الجهول إلى الردى أم	تمزّق عنه أثواب الممات؟

(١) يعني الفيلسوف الألماني نيتشه الذي تكلم عن الإنسان الكامل.

(٢) يعني أن هذه الفكرة تعطر بها النفوس المقفرة، وتحمل ما يحمله غزال المسك في الفلاة فلا تحرم الناس منها.

## المؤمن

إن للمؤمن العجيب الشأن  
هو في قوله السديد وفي الفعل  
فيه قدسيةً إلى جبروت  
إن تُوَلِّفَ هذي العناصرُ كان  
هو تُرْبُ سما يجاور جبريل  
لست تدري بسرّه فتراه  
فيه عزم على القضاء دليل  
هو بَرْدِ الندى بقلب شقيق  
ليله والنهار لحن حياة  
إن فكري مطالع لنجوم

كل حين جديد شأنٍ وآن  
على الله واضح البرهان  
ومن القهر فيه والغفران  
المسلم المستعلى على الحدّثان  
ويأبى الحلول في الأوطان  
قارئاً وهو صورة القرآن  
وهو في العالمين كالميزان<sup>(١)</sup>  
ويقلب البحار كالطوفان<sup>(٢)</sup>  
في انسجام كسورة الرحمن  
نجمك اعرف طلوعه في بياني<sup>(٣)</sup>

(١) يقول إقبال في مواضع كثيرة: إن عزم المؤمن من القدر أو هو مشير على القضاء والقدر، وأن رأيه وعمله ميزان الصلاح والفساد في الحياة. وهنا يقول: إنه ميزان الأعمال في الدارين الدنيا والآخرة.

(٢) هو تارة كالندى يبرد قلب الشقائق، وتارة كالموج الهائج في البحر...

(٣) يقول: أيها الباحث عن مستقبله في طوابع النجوم هلم أدلك على أسباب السعادة، فإن فكري يطلع نجومًا صادقة تدل على السعد والنحس.

## المسلم البنجابي

عرف أهل البنجاب بكثرة النحل والدعوات المبتدعة.

مجدّد في كل حين مذهبًا      يحلّ في مرحلة ليركبا  
 في حلبة التحقيق نكش وإذا      قامره داع غوي غلبا  
 جباله التأويل إن تُنصب له      هوى من العُش إليها مُعجبا

## الحرية

ينعي إقبال في هذه الأبيات على من يدعون الحرية حين يتحدثون في

الإسلام وحضارته، فإذا عرضت أوروبا وحضارتها خنعوا لها فكراً وفعلاً.

ألا من يطيق اليوم نصحاً لمسلم      وحرية الأفكار من ربّه أمر  
 من الكعبة اجعل بيت نار وإن      فموئن أفرنج به الزور والسحر  
 وإن شئت فالقرآن تأويل لآعب      فجدّد لنا شرعا يلائمه العصر  
 رأيت بأرض الهند أي عجيبة      فإسلامها عبد ومسلمها حرّ

## نشر الإسلام في بلاد الإفرنج

هذي الحضارة ما تدین قلبها  
فلئن تنصّر برهمي لم يزل  
ولوّ أنّهم قد أسلموا لم يرفقوا  
فأخوة الإفرنج بالعصبات  
للإنكليز إليه نظرة عات  
بالمسلم المنكود من إعنات<sup>(١)</sup>

### لا وإلا

يرى إقبال أن الحياة محو وإثبات أو هدم وبناء. فالأمة الصالحة تمحو السيئ وتثبت الحسن. وكلمة التوحيد قائمة على نفي غير الله وإثبات الله. فإن محت الأمة ولم تثبت أو هدمت ولم تبين فعاقبتها الفناء. وهو يعني هنا حضارة أوروبا عامة والروس الشيوعيين خاصة.

لو لم تسرف في ظلام الثرب نابته  
تقضى الحياة بـ«لا» في البدء نافية  
إن لم تجيء بعدها «إلا» مثبتة  
إن أمة روحها لم يمض معتزماً  
ما نشرت في فضاء النور أغصانا  
وفي النهاية «إلا» تكمل الشانا  
كانت على الموت «لا» في الدهر  
عن «لا» فقد آذنت بالهلك إيذانا

(١) لو أن الإنكليز أسلموا لم يحسنوا معاملة المسلم.

## إلى أمراء العرب...

العرب هم الأمة التي حملت إلى الأمم رسالة الإسلام وعلمتها الأخوة والتعاون. والشاعر ينعي على أمراء العرب أن نسوا هذه الرسالة التي بلغوها وكانوا أحق بها وأهلها.

هل يُسعدُ الكافرَ الهنديَّ منطقُه      مخاطبًا أمراءَ العربِ في أدبِ  
مَنْ أُمَّةٍ قَبيلِ كلِّ الناسِ قد أخذتْ      بحكمةٍ فأعانتها على الثوبِ:  
إخاءُ مصطفويٍّ دونَ تفرقةٍ      وهجرُ كلِّ غويٍّ من أبي لهبِ  
ما من حدودٍ وأرضٍ كان منشؤها      من أحمدِ العربِ كانت أُمَّةُ

## الأحكام الإلهية

إقبال يؤمن بحرية الإرادة، وينفر كل النفور من الاعتقاد بالجبر والاستسلام للأحداث. وفي هذه الأبيات يقول: إن الجماد والنبات خاضع لقوانين لا يحيد عنها، وأما المسلم فهو خاضع لأحكام الله لا لقوانين طبيعية تسيره مجبرًا. وهذه الفكرة تلقى قارئ شعره في مواضع كثيرة.

قيدَ القضاء ترى أم قيدَ أحكام      ما أعجزتْ هذه أربابَ أفهامِ  
في كل حين ترى التقديرَ في غير      رهينُها بين لذاتِ وآلامِ<sup>(١)</sup>

(١) عالم الطبيعة والحادثات في تغير مستمر، فمن خضع له تداولته اللذات والآلام.

إن النبات وإن الجامدات لها من القضاء قيوداً ذات إحكام  
والمؤمن الحر لا شيء يقيدته لكن لخالقه في قيد أحكام

## الموت

يرى الشاعر أن القلب الحي لا يموت فهو حي بعد الموت طموح  
طلعة لا يرضى بالسكون والقرار؛ وإنما حياة القلب في رأيه بقوة الذات  
(خودي). والموت لا ينال الذات حين ينال الجسم.

في اللحد أيضًا يبقى	الغياب والحضور
إن يك قلبٌ حيًّا	فالقلب لا صبور
هذي النجوم تمضي	كشَرر يطير
والذاتُ فيها راحٌ	ففي أبد سُرور
إن مسَّ جسمًا موتٌ	واحتجب الظهور
فللوجود قُطب	مناله عسير

## قم بإذن الله

في هذه الآيات يبشر إقبال بالمستقبل الوضاء على رغم الخطوب ويقول: تغيرت الدنيا ولكن الأرض والسماء كما كانتا. وكلمة «قم بإذن الله» مكررة بلفظها في الأصل.

إِنْ تَحُلْ دُنْيَا فَلَمْ تَقْنِ أَرْضَ  
وَسَمَاءَ، قَم بِإِذْنِ اللَّهِ  
مِنْ «أَنَا الْحَقُّ» انطوى فيك قلب  
وَمَضَاءَ، قَم بِإِذْنِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>  
لَا تُرَعِ مِمَّا تُسْرِى؛ لَفَرَنْجِ  
سِيمَاءَ، قَم بِإِذْنِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>

(١) يرمز إلى قصة الحلاج الصوفي الذي قال أنا الحق. يقول للمسلم: فيك روح تنتسب إلى الأرواح العظيمة.

(٢) لا يرعك ما يحيط بك من فتن الأفرنج فهي سيماء لا حقيقة لها.

## القسم الثاني التعليم والتربية المقصود<sup>(١)</sup>

يبين هنا الشاعر رأى اسبنوزا الفيلسوف ورأى أفلاطون ورأيه هو في المقصود من هذه الحياة.

سبنوزا:

يبصر العاقل الحياةً وليست غير نور وجلوة تُسحبُ

أفلاطون:

يبصر الموتَ عاقلٌ، فحياة كشرار بجنح ليل يشب  
ما إلى الموت والحياة التفات مقصدُ الذات رؤية الذات

(١) كتبت في بهوبال في رياض منزل (دار السيد راس مسعود).

(٢) هذا رأي إقبال.

## إنسان هذا العصر

حُرِّمَ العِشْقَ وللعقل به      نَكَزَات كَشَجَاع يثَأُرُ<sup>(١)</sup>  
تَبَعَ العَقْلَ شَرُودًا سَادِرًا      مَا هَدَى العَقْلَ لَدَيْهِ بَصْرُ  
لَمْ يَسَافِرْ فِي دُنَى أَفْكَارِهِ      وَعَلَى الأَفْلَاقِ دَامَ السَّفَرُ  
هُوَ مَنْ حَكْمَتِهِ فِي شَرِكِ      غَابَ عَنْهُ نَفْعُهُ وَالنُّضْرُ  
مَنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ فِي قَبْضَتِهِ      مَا بِهِ لَيْلُ حَيَاةٍ يُسْفِرُ

## أمم الشرق

كَيْفَ تُجَلَى حَقَائِقُ لَعْيُونِ      عَمِيَتْ بِالخُضُوعِ وَالتَّقْلِيدِ  
كَيْفَ يُحْيِي الفَرَنْجُ عُرْبًا وَفُرْسًا      بَفَنَسُونِ تَسِيرَ نَحْوِ اللُّحُودِ

## التنبه

في هذه الأبيات ينعي إقبال أيضًا على الإنسان اهتمامه بعالم الطبيعة وإهماله نفسه ويقول: إن تقوية الذات وتقديرها يعين الإنسان على الحادثات ويبصره الجميل والقيح في البصيرة، والحلال والحرام، حلال القلب وحرامه (استفت قلبك وإن أفتاك المفتون).  
نظر المنجم في جباك نجومه      لكن مقام الذات عنه يُسْتَرُ

(١) النكرة عضة الحية. والشجاع نوع من الحيات.

مَنْ يَدْرِ أَنْ الذَّاتِ أَرْفَعُ مَنْزِلًا      عَرَفَ الزَّمَانَ وَصَرْفَهُ لَا يُقَهَّرُ<sup>(١)</sup>  
وَجَمِيلَ أَنْظَارٍ يَرَى وَقِيحَهَا      وَحَلَالَ قَلْبٍ وَالْمَحْرَمَ يُبْصِرُ

### مصلحو الشرق

يَأْخُذُ الشَّاعِرُ عَلَى مُصْلِحِي الشَّرْقِ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا لِلنَّاسِ شَيْئًا، وَأَنَّهُمْ  
لَمْ يَسْتَمْسِكُوا بِالسِّنَنِ الصَّالِحَةِ الْقَدِيمَةِ وَلَا أَخَذُوا بِالسِّنَنِ الْحَدِيثَةِ.  
يَسْتُ فَلَ أَرْجِي فِي أَنَاسٍ      لَهُمْ فَنُ كَفَنِ السَّامِرِيِّ<sup>(٢)</sup>  
سُقَاةٌ فِي رُبُوعِ الشَّرْقِ طَافُوا      عَلَى النَّدْمَاءِ بِالْقَدْحِ الْخَلِيِّ  
سَحَابٌ مَا حَوَى بَرْقًا قَدِيمًا      وَلَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ بَرْقٍ فَتِي

### الحضارة الغربية

أَرَى تَثْقِيفَ إِفْرَنْجٍ      فَسَادَ الْقَلْبِ وَالنَّظْرِ  
فَرُوحَ حَضَارَةِ لَهُمْ      خَلَّتْ مِنْ عَفَةِ السُّوْطِ  
إِذَا مَا الرُّوحِ جَانِبَهَا      جَمَالَ الصَّفْوِ وَالطُّهْرِ  
فَأَيْنَ جَمَالَ وَجَدَانٍ      وَلَطْفَ الذُّوقِ وَالْفِكْرِ

(١) ارفع منزلاً من الفلك.

(٢) السامري الذي صنع لقوم موسى عجلاً من الذهب ودعاهم إلى عبادته، فنه سحر وضلال.

## أسرار ظاهرة

قال موسوليني لإقبال حين لقيه: من ملك الحديد ملك كل شيء.  
فأجاب إقبال: من كان هو حديدًا فهو كل شيء. وقد ضمن هذا المعنى  
البيت الأول من الأبيات التالية.

ما بهم حاجة إلى السيف قومٍ      من حديد يُصاغ فيهم شبابٌ  
أين منك الأفلاك؟ إنك حُرٌّ      وهي قَهْرٌ ذهابها والإياب  
ما اصطحاب الأمواج؟ لذّة سعى      واللالّي يصوغها الوهاب  
ليس يهوي الشاهين من طول      يا أخوا العزم لا ينلك التراب

## وصية السلطان تيبو

السلطان تيبو كان من ملوك المسلمين في ميسور جنوبي الهند. وقد  
حارب الإنكليز زمنًا طويلًا، وحاول أن يؤلب عليهم دولًا إسلامية. ويتفق  
مع نابليون، وكان في مصر حينئذ؛ فجمع له الإنكليز ما استطاعوا. فلما  
يش من النصر ألقى بنفسه من قلعة فمات سنة ١٢١٣هـ.

وهو عند إقبال ممن تتجلى فيهم (الذاتية) فقد جعل هذه الوصية على  
لسانه.

وفي هذه الأبيات أصول من فلسفة إقبال:

يدعو إلى السير الدائب وهجر المحمل ولو في صحبة ليلي، وإلى  
المضي والتقدم والنماء، فهو يدعو جدول الماء أن يسير حتى يصير نهرًا،  
وإلى السيطرة على هذا الكون والعلو عليه حتى لا يضل الإنسان فيه،  
وإلى أن يحرق الإنسان بحرارة ذاته ولا يقبس من أحد نارًا، وألا يذل  
القلب للعقل.

طاوِيَّ البيداء شوقًا! أقبلنْ	لا تعرج، منزلًا لا تقبلنْ <sup>(١)</sup>
لا! وإن سار بليلى محمِلٌ	فامض شوقًا، محملاً لا تقبلن
جدول الماء! تقدم مُسرِعًا	واعُد نهرًا، ساحلاً لا تقبلن
لا تحز في مضم الكون وسر	في البرايا، ضللاً لا تقبلن
يا مُذِيبَ الحَفَلِ! لا تقبل له	حُرقة، كن مشعلًا، لا تقبلن
كل قلب ذل للعقل فقد	قال ربي أزلًا: لا تقبلن
وحد الحقُّ وثني باطلٌ	شؤبَ حقِّ باطلًا لا تقبلن

(١) القافية مردوفة والروي اللام في منزلًا وساحلاً... إلخ.

## قطعة

إلى عَصَبَاتِ العُربِ ما أنا منتم  
فقد علمتني (الذات) تحليقَ نافرٍ  
بعينك أني كافرٌ غير مسلم  
فدينك تعدادٌ لأنفاسٍ مُحجِمٍ  
تبدلتَ فالتبديل في الشرع حكمة  
فلمست أرى في بيدك اليومَ جنةً  
إذا حاد عن نار الحياة منعمٍ  
ولست بهندي ولا أنا أعجمي  
يمر على الدارين غيرَ محومٍ  
وأنت بعيني كافر غير مسلم  
وديني إحراقٌ لأنفاسٍ مقدم<sup>(١)</sup>  
فليس يطبق الطَّبِي شِرعاً ضيغَم<sup>(٢)</sup>  
تشب بهذا العقل نارَ التقدم<sup>(٣)</sup>  
فموتٌ شعوبٍ لحنٌ هذا المنعم<sup>(٤)</sup>

## اليقظة

خِذنُ حقَ تنبهت فيه (ذات)  
نظراتٍ لديه تُشرقُ فيها  
إيه عبدَ الآفاقِ كيف تداني  
أنت في البرِّ قاعدٌ عن طِلابٍ  
كالحسام المصمم البراقِ  
ما انطوى في الذرّاتِ من أشراقِ  
رجلَ الله صاحبَ الآفاقِ  
وهو في البحرِ محرّم الأعماقِ

(١) أنت تدين بالسكون والأحجام فحياتك عد أنفاس، وأنا أدين بالجد والإقدام فحياتي إحراق أنفاس.

(٢) كرر إقبال هذا المعنى، يقول: إن الجماعة إذا ضعفت لم تستطع السير على شريعة القوة، فهي تعمل في تبديلها بدل أن تبدل نفسها.

(٣) يرمز إلى هيام مجنون ليلي في البيداء. والجنون في شعر إقبال الإقدام في غير مبالاة.

(٤) إذا لم تكن الألحان ناطقة بحرقة الحياة وكدها فهي مميتة للهمم.

## تربية الذات

ربِّ «الذات» بالرعاية تُبصر      (كفُّ تُرب) يُشيع في الكون  
 إن سرَّ الكلبي في الدهر بيد      وشُعيبٌ والرعي ليلَ نهاراً<sup>(١)</sup>

## حرية الفكر

بحرية الأفكار هُلك جماعة      إذا لم يكن فيها تَدَبُّرُ عالم  
 فحرية الأفكار في رأس جاهلٍ      طريقٌ لِرَدِّ الناس مثلَ البهائم

## حياة الذات

إن الذات حَيَّةٌ فالفقير مملُك      ترى طُغراً أو سنجراً لا يشاكل<sup>(٢)</sup>  
 إن الذات حَيَّةٌ فالبحار ضحاضح      إن الذات حَيَّةٌ فالحزون مخامل  
 ترى في الحياة الوحش قاهر لجه      وفي موته موج السراب سلاسل

(١) تكثر الكناية عن الإنسان بكف من تراب أو قبضة من تراب.

(٢) يعني فسحة البيداء وتربية روح عظيمة كشعيب، والجد الدائب.

(٣) طغرل وسنجر من ملوك السلاجقة.

حكومة<sup>(١)</sup>

يَرْضَى المریدون قول حق  
والشيخ قول الفقير يقلي  
قد قعدت أمة وباءت  
إن شغلت عقلها ببحسث  
دستورُ ذا الدير ليس فيه  
لكنما راحه نصيب  
الشهد عند الشباب فيها  
ليسوا عن الحق بالعتاة  
وليس للحق بالمواتي  
فسي حلبة السعي بالخزاة  
فلسفة الذات والصفات  
للخمر والشرب من ثبات<sup>(٢)</sup>  
لأمة حرة السمات  
المر من مورد الحياة

## المدرسة الهندية

إقبال أقصر، هنا لا تُعرَف الذاتُ  
الخير ألا تُرى في عين قبرة  
فلحظة الحرِّ عام للذليل فكم  
ولحظة الحرِّ من خلد رسالته  
وفكرة الحرِّ من حق منورة  
فما لمدرسة هذي المقالاتُ  
من البزاة مقامات وحالات  
كم تبطن السير بالعبدان أوقات  
ولحظة العبد من موت فجاءات  
وفكرة العبد تغشاها الخرافات

(١) بمعنى حكم.

(٢) يكنى عن الدنيا بالدير القديم. وقد حذفت القديم في الترجمة.

كرامة حيّة بالحجرٍ ماثلة      والعبء من غيره تأتي الكرامات  
حسب المُقيد تعليمًا وتربية      تصويره ولحون والنباتات<sup>(١)</sup>

## التربية

فرق علم وحياة      ليس فيه من خفاء  
هو في الرأس ذكاء      وهي في القلب ذكاء<sup>(٢)</sup>  
قدرة في العلم تبدو      ومتسع وثرء  
مُضلل أن ليس فيه      في خطى السير اهتداء  
وأواو الأبيصار نزر      وأولو العلم زهاء  
ليس يدعًا أن كأشأ      لك من راح خلاء  
ما طريق الشيخ في المكتب      للقلب ضياء<sup>(٣)</sup>  
كيف بالكبريت إشعا      لُ سراج الكهرياء؟

(١) يعني حسب الدليل أن يعني بهذه العلوم والفنون لا تدرك نفسه معاني الحياة السامية التي تسيطر بها على العالم.

(٢) ذكاء - اتقاد.

(٣) المكتب - المدرسة. وفي تركيا المدرسة خاصة بالعلوم الدينية والمكتب لما يسمى مدرسة في مصر. والكلمة بعينها في الأصل.

## الحسن والقبيح

هنا رأي لإقبال في الحسن والقبح متصل بفلسفته في الذات وقوتها وعلوها. يقول ما تدركه الذات في اعتلائها جميل، وما تدركه في استفالها قبيح.

إنَّ للفكر طُلوعًا وغروبًا      كنجوم سابحاتٍ في العوالي  
عالم الذات به علُو وسُفل      واعتراكُ القبح فيه والجمال  
في اعتلاء الذات ما يبدو جميل      وقبيح ما بدا في الإستفال

## موت الذات

من ممت الذات في الغرب ظلام      وبموت الذات في الشرق جذام  
من ممت الذات في العُرب      ولدى العُجم عروق وعظام  
من ممت الذات في الهند جناح      هيض في الأقفاص والعش حرام  
من ممت الذات يُعرى مسلمًا      من ثياب سادن البيت الحرام<sup>(١)</sup>

(١) في الأصل «شيخ الحرم يبيع ثوب الإحرام ويأكله» والمعنى أن موت الذات قعدت بالمقيمين في الحرم عن المساعي وسوغت لهم بسفساف الأمور؛ فطوعت لهم أنفسهم أن يأخذوا ثوب الإحرام ليعيشوا به.

## ضيف عزيز

ضمير أولى المدارس في ازدحام      بأفكار كما امتلأ القفيزُ  
وهذا العصر ماض في هواء      جميلاً من قبيح لا يميز  
ففي جنّبات قلبك أخل بيتاً      عسى يشوى به ضيف عزيز<sup>(١)</sup>

## العصر الحاضر

فأين يصيب المرء ناصح فكرة      وأجواء هذا العصر لا تُنضجُ الثمر  
مدارس فيها كلُّ عقل محرّر      ولكن بها الأفكار عقدٌ قد انتثر  
أطاحت بعشق الغرب أفكار ملحد      وعبد عقل الشرق قوضى من

## طالب العلم

يريد إقبال بالتعليم إيقاظ نفس الطالب وتحريكها وإثارتها للنظر،  
وحفزها للمطالب العالية، لا تلقينها مسطورات الكتب، فهو يقول:

الله يجبوك علماً      بمائج العباب  
فإن بحرك رهُو      ما يُبتلى باضطراب  
لن تستطيع فراغاً      في السيفر مسن أبواب

(١) ينبغي أن يخلى القلب حيناً من الأفكار المتزاحمة التي تشغله؛ ليفزع للواردات النفسية والمعاني الروحية العالية.

فأنت قاري كتاب ولست أهل كتاب

### امتحان ...

في الأبيات التالية يضرب إقبال مثلاً لرأيه في أن الكد والجهد يقويان  
الإنسان ويرفعانه، وإن الحياة لا تكمل دون عناء - يمثل بالنهر المنحدر  
من الجبل يهوي من صخر إلى صخر... إلخ.

قال نهر الطود يوماً للحجر: بسقوط وانتكاس تفتخرا  
أنت للأقدام والغمّ لقي وأنا يشتاقي بحرّ وبرّ  
لم تذهده من جدار مرة كيف تُدرى أزجاج أم حجر؟

### المدرسة

يقول إقبال: إن المدارس وسيلة إلى الوظائف وسبيل إلى المعاش  
وهي لا تقدم بالإنسان على جهاد الحياة بل تهبط بالفطرة، وتحجب عن  
الإنسان أسرار الخليقة، وإن يكن عنى مدارس الهند فما أشبه كثيراً من  
المدارس بها.

مَلِكُ المَوْتِ عَصْرُنَا يَتَوَفَى كُلُّ نَفْسٍ بِفِكْرَةٍ فِي المَعَاشِ  
يَرْجُفُ القَلْبَ مِنْ كَفَاحِ حَيَاةٍ وَهِيَ مَوْتُ لُمَشْفِقٍ مِنْ هِرَاشِ  
أَبْعَدَ الدَّرْسِ عَنْ جِجَاكَ جُنُونَا صَاحَ بِالعَقْلِ: لَا تَلْذُ بِنِقَاشِ<sup>(١)</sup>

(١) جنون يقول للعقل: أقدم ولا تتعلل بالجدل وتلذذ بالمعاذير.

عينُ صقر مُنِحَتَها وعليها      وضع الرق نظرة الخفّاش  
حجبت دونك المدارس سرّاً      هو في البيد والرواسخ فاش

### الحكيم نيّشه

إقبال يعجب بنيّشه الفيلسوف الألماني، وفي فلسفته شبه بفلسفته، ولكنه يأخذ عليه أنه عرف العقل لا القلب وأدرك العلم لا العشق. وهنا يقول: لم يكن «النكتة التوحيد أهلاً وأنه كان ضرورة عفاً، ولكن كان يتشوف إلى لذة الأثم فيكثر الحديث عنها (انظر المقدمة)».

أي قدر لذا الحكيم ولكن      لم يكن أهل نكتة التوحيد  
ليس إلا لذي البصيرة يبدو      سرّ معنّى بـ (لا إله) بعيد  
أرسل الفكر أسهما في سماء      وحوى الشمس بالخيال المديد  
ظاهر الطين في الترهّب لكن      لذة الإثم نُصبُ طرّف حديد

## الأساتذة

إن كان تربيةً الياقوتِ مقصِدنا      فما شعاعُ رمته الشمسُ حيران<sup>(١)</sup>  
وما المدارسُ أو ما الدارسون بها      وللرواياتِ عمَّ الأرضِ إذعان  
كانت جديراً بقود العصرِ أدمغةً      يقودها العصر ما فيهن نُكران

## قطعة

يبلغ المنزلُ سار لا ينام      مُسْرِجُ عَيْنِ هَزِيرٍ فِي الظلامِ  
إنَّما للعبدِ تُمنَى راحةٌ      ليس للحزبِ على الأرضِ حَمَامِ  
قد أزاغ العينَ في الغربِ سَنَا      لك من صاحب (ما زاغ) إمام<sup>(٢)</sup>  
ذاكم الحفلِ الذي أكؤسه      كنجوم، لَمحةً فيه المُقامِ  
أعمتِ الأسفارُ جِسا فالصبا      لم تعطرَ لك مَنْ روضِ مشام<sup>(٣)</sup>

(١) يقول الطيبيون القدماء: إن العقيق والياقوت ونحوهما من الأحجار النفيسة تنضج بأشعة الشمس. ويقول إقبال: إن كان القصد تربية النشء فلا تجدي هذه الأشعة الحائرة المتفرقة؛ تربية النشء تقتضي أن يؤثر الأساتذة في التلاميذ تأثير أشعة الشمس المتجمعة في الأحجار النفيسة.

(٢) يشير إلى الآية في سورة (النجم) {ما زاغ البصر وما طغى}. وصاحب ما زاغ هو الرسول عليه السلام.

(٣) يعني أن العكوف على الكتب أمات الحس؛ فالصبا تمر على الروض وتأتي إليك فلا تشم رائحة الروض فيها. حجبت الكتب عن النفس إدراك المعاني الروحية العالية وأغفلت الإنسان عن وحي الكون.

## الدين والتعليم

قد عرفنا قدرَ أشياخِ الحَرَمِ      كلُّ دعوى دون إخلاصٍ سَقَمِ  
ولتعلِّمِ النَّصارى نَعَمَ      ليس من دينٍ وخلقٍ ذا النَعَمِ  
تكتبُ الذَّلَّ على أقدارها      أُمَّةٌ بالذات فيها لا تُهَمِّ  
ربما تغفر للفرد ولا      تغفر الفطرةُ آثامَ الأممِ

## إلى جاويد

جاويد ابن الشاعر وباسمه نظم «جاويد نامه» الديوان الخالد. وجاويد اليوم يطلب العلم في لندن أرسلته إليها حكومة باكستان.

والأبيات الآتية معارضة لشعر نظامي الجنزي (الكنجوي) الذي ينصح فيه ابنه. وقد ختم إقبال كل قسم من الأقسام الثلاثة الآتية التي قسم إليها نصيحة جاويد ببيت فارسي من أبيات نظامي التي نصح بها ابنه. ونظامي من أئمة شعراء الفرس.

- ١ -

حَرَبْتُ على الأديان ذا الزمانُ      مرَّكِبٌ في طبعه الكفرانُ  
سُنْدَةٌ أهل الله - فاطلُبْنِها -      أرفَعُ مما شئد السلطان  
لكنه «والحق» عصُرُ سِحْرِ      السحْرُ في أموره ميزان

عينُ الحياة ماؤها نَضُوبٌ      فأين راحُ الليل والرَّيحان  
 من كان في نظرتهم سِهَامٌ      منهم خلا الكُتَّاب والبدِوان  
 لكنما السدار التسي سراج      أنت لها مَذاقُها عِرفان<sup>(١)</sup>  
 إن تك (لا إله) في ضمير      فالغرب من تعليمه أمان  
 عُشُّك فوت (الذات) أحكمنه      ثم اطرَبْن ما شاءت الأغصان  
 الأدميُّ يا بنيِّ بحرٌ      في كل قطرة به طوفان  
 من حَبَّة ترى ألوف حَبِّ      إمَّا جفا راحته السدهقان  
 لا تغفلن فلات حين لِعِبِ  
 العلم حَصِّل واستهن بالصعب

## -٢-

إن لم يكن في الصدر حرٌّ قلب      لم تنضج الحياة في هُمام  
 إن ينشط الغزال في ذكاء      لم يظفر الصياد بالمَرام<sup>(٢)</sup>  
 ماء الحياة هاهنا قريب      طريقه حرارة الإقدام<sup>(٣)</sup>

(١) يعني دار إقبال التي نشأ بها جاويد.

(٢) إنما يصاد الصيد حين يغفل أو يبطئ؛ فإن كان يقظاً وثاباً لا يظفر به الصياد، فالإنسان لا تخضعه الحادثات أن صحبة الذكاء والإقدام.

متى تحمل القلب الذكي وصارما \*\*\* وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

(٣) ماء الحياة يوجد في هذه الدنيا والسبيل إليه الجد والكد، وشدة العطش. كما قال في رسالة المشرق:

غصن الحياة ندى \*\*\* من ظمنا في الطلاب

في غيرة أرى طريقَ حقِّ  
 يا قرة الأعينِ مستحيلٌ  
 ليس المقالُ في الأنامِ نزرًا  
 وإنما بين الورى متاعي  
 وصدقُ أقوالِ بها تراني  
 موهبةُ الخلاق لا تُراثُ  
 لنور عينيه يقول نصحا  
 أبوتى ليست بذاتِ بالٍ  
 في حلبة السبقِ إلى المعالي

- ٣ -

عبء على المؤمنِ ذي الليالي  
 ولا أرى نشوان في كِفاح  
 فليس الاكليمُ نَوَازي  
 وإن تكن ذا همة فأقدم  
 الدينُ والدولةُ فعلُ هازي  
 وابتغ فقرًا أصله حجازي<sup>(٤)</sup>

(١) الباشق ضرب من الطيور الجوارح. ولا يذل الباشق كالحمام. فكذلك الكرام لا تضرع ضراعة الحمام.

(٢) ليس الكلام في الناس قليلاً، فكلم فيهم من شاعر مثل الأنوري والنجامي. وهما من كبار شعراء الفرس.

(٣) نظامي شاعر فارسي كبير ذكر في مقدمة هذه الأبيات.

(٤) فقر نسب إلى الرسول الحجازي. راجع المقدمة في الكلام على الفقر.

الأدمي منه في صفات  
 هذا المقام للبغات حنف  
 تُضيء عينُ العقل من سناه  
 سطوة (محمود) تُصيب فيه  
 فذاك في دنيك إسرافيل  
 نظرته المثيرة الليالي  
 وصاحب الفقر الغيور هذا  
 إمارة المؤمن فيه سر  
 عطية الوهاب هذا الفقر

كالله مستغن بلا إعواز  
 وإنما هذا مقام البازي  
 ما بابن سينا كجحت والرازي  
 إن لم يكن طبعك من إياز<sup>(١)</sup>  
 من نفخات الناي في اشمزاز<sup>(٢)</sup>  
 ساريةً بالكون في ارتجاز  
 بلا سلاح في الزمان غازي

(١) السلطان محمود بن سبكتكين وغلामه إياز يشيع ذكرهما في الآداب الإسلامية الشرقية.

وضرب محمود وإياز هنا مثلاً للعظمة والحقارة.

(٢) فذاك: إشارة إلى الفقر فنفسه لا يلائم الناي ولكن صور إسرافيل.

## القسم الثالث المرأة

### الرجل الإفرنجي

كم حكيم قد تمنى حله      مشكل المرأة في هذي الحياة  
لا تُلْفها في فساد شائع      شهدت بالطهر كل التيارات  
عشرة الإفرنج نهج مُفسد      جهل الحمقى طباع المحصنات

### سؤال

إلى عالم الغرب من أسلست      له الروم والهند يُزجى سؤال:  
كمال معاشرة عندكم      حيال النساء وعطل الرجال؟<sup>(١)</sup>

(١) الحيال الخلو من الحمل.

## حجاب

أرى فلکما کلّ حين للون  
ولا فرق ما بين عرس وعرس  
ولم تنضّ دنياء هذا الإهاب  
فذي في نقاب وذا في نقاب<sup>(١)</sup>  
ولم يزل الناس رهن حجاب  
ومن برزت ذاته من حجاب؟

## الخلوة

فضّح العصر جنّة بالسفور  
إن تجز متعة العيون مداها  
نور عين وظلمة في الصدور  
كان فيها الشتات في التفكير  
قطرة الماء لا تحوّل ذرّاً  
دون أصدافها بقاع البحور  
ثمسك الذات نفسها حين تخلو  
لا خلاءً بمسجد أوديور

## المرأة

إنما المرأة لـون  
لحنها ينفث ناز الو  
ذلك الطين تعالي  
إنها درج لـديها  
في رسوم الكائنات  
جد في صدر الحياة  
فوق أوج التيارات  
كلُّ ذر من صفات

(١) نقاب الرجل والمرأة في هذا البيت يفسره ما في البيت الذي بعده، أن الذات لا تزال في حجاب. والعرس الزوج للرجل والمرأة.

ما لأفلاطون تَروِي من قضايا معضلاتِ  
وهو منها كشرار من ذكي الجَمرات<sup>(١)</sup>

### حرية النساء

قضيةٌ عصرٍ لست فيها بفيصل  
وما نفعُ أقوال تزيد ملامتي  
وإن كنتُ بين الشهد والسمِّ أفرقُ  
وقبلاً بنو التمدين عني تفرقوا  
ويعجز عنه في الرجال المحقق:  
أحرية النسوان أجملُ زينةً  
أم الجيد بالدرِّ الثمين يطوَّق<sup>(٢)</sup>

### حصانة المرأة

في الصدر حق ليس يُدركه  
حفظ الأنوثة في يدي رجل  
من حاز بردَ دِمايه عَصَب  
لا العلم يحفظها ولا الحُجُب  
إن غاب هذا الحق عن أمم  
فكسوف شمس فيهم كُتُب

(١) يعني أن المرأة لا تتفلسف ولكن تلد الفلاسفة.

(٢) هذه قضية لا يفصل فيها إلا المرأة: أحرية المرأة كما نرى اليوم أحب إليها أو غل عنقها من

اللؤلؤ في رعاية زوج وصيانة بيت.

## المرأة والتعليم

مَوْتُ الأمومة إن رامت حضارتهم      فالموتُ عاقبة الإنسان في الغربِ  
 إن يجعل المرأة التعليم لا امرأة      فالعلمُ موتٌ يراه صاحبُ القلبِ  
 إن تحرمن الفتاة الدينَ مدرسةً      فالعلمُ والفنُّ موتُ العشقِ

## المرأة

بغيره يتجلى جوهرُ امرأة      ووحده يتجلى جوهرُ الرجلِ  
 حرارة الشوق سر في بلابها      كيأنها لذةُ التخليق كالشعلِ  
 من هذه النار أسرارُ الحياة بدت      والخلق والموت منها في وغى  
 كذلك في فؤادي للنساء أسى      لكنها عقدة أعيت على الجيل<sup>(١)</sup>

(١) إن أغفلت المدرسة الدين الذي يحفظ للمرأة حرمتها وحدودها، فعلمها وفتها موت عاطفة المرأة وذهاب الحب الحق.

(٢) هو كذلك يرثي للمرأة مما أعدتها الفطرة له وما حملتها إياه؛ ولكن لا حيلة لأحد في هذا.

## القسم الرابع الأدب والفنون الدين والفن

الدين والفن والتدبير والخطب والشعر والنثر والتحرير والكتب  
كلُّ يُحيط بمكنون يَضِنُّ به؛ في صدره يتوارى جوهراً عَجَب  
ومن ضمير سليل الطين مطلعها لكن لها من وراء الزُّهر  
إن تحفظ «الذات» هذي فالحياة أو لم تطق ذاك فهي السحر  
كم أمة تحت هذي الشمس قد إذ جانب الذات فيها الدينُ

### التخليق

جِدَّةُ الدنيا بتجديد الفكر ليست الدنيا بصخر ومَدْرُ  
هَمَّةُ الغائص في «الذات» لها من غدیر الماء بحرٌ قد زَخِر  
قاهرُ الأيام من أنفاسه هي أعمارُ خلودٍ في الدهر  
ريحُ أصحاب من اليد أتت لا عجيبٌ إن بدا خِذْن سَفْرٌ<sup>(١)</sup>

(١) سليل الطين - الإنسان.

(٢) الدين وسائر ما ذكره في البيت الأول مقصدها حفظ الذات... إلخ.

(٣) يعجب إقبال بالبادية؛ لأن الذات فيها أقوى، ولذكرى الرسول وأصحابه الذين أخرجوا للعالم

الحياة والقوة. وهو يجد من البادية ريحاً تبشر بصاحب مسعد له يدعو دعوته ويحقق أمله.

## جنون

واهنُ البيت شاعرٌ وفاقه وطوى البيدَ - ويحه - المجنونُ  
 في طمّاح الجنون أي كمالٍ حين تعدو البيداء منه فنون<sup>(١)</sup>  
 فله في الدروس أيضًا مجالٌ ليس وقفًا على الفيافي الجنون

## إلى شعره...

لي من فعلك شكوى: همت في حبّ الطلوع  
 شغفت عن قلبي فالأسرار عن قلبي تُشيع  
 لا تكن مثل شرار نداء عن نارٍ يضيع  
 والشمس خلوة صدر فيه من نار ضلوع

## مسجد باريس

يا نظري لا يخذعتك فنه للزور هذا الحرم المغرّب  
 وليس هذا حرمًا لكنه عند الفرنج للغرام ملعب  
 قد أخفت الإفرنج روح موثن في صورة من حرم تكذب<sup>(٢)</sup>

أمله.

(١) إن تجاوز البيداء إلى الحضرة فنونه، وفيه إشارة إلى مجنون ليلي.

(٢) الموثن: معبد الأوثان.

إن الذي شيد هذا موثنا دمشق من غدوانه تخرب

### الأدب<sup>(١)</sup>

بهذا يجمل الشاعر طريقة الأدب الحديث، فهو مزاج من القلب  
والعقل، وهو يجدد الروح في صور قديمة أو يحرر من التقليد الأرواح  
العتيقة.

رأيت العشق يقفو اليوم نهجاً من العقل الإلهي القويم  
وليس يُريق ماءً الوجه ذلاً على عتبات محبوب غريم  
محا التقليد في روح قديم وأحيا الروح في جسد قديم

### البصيرة

الربيع النضير ملء الفضاء وجيوش الشقيق في الصحراء  
وشباب وتمعنة وسرور ودلال ونشوة بالفتاء<sup>(٢)</sup>  
وعيون النجوم في حلك الليل وسبح الأفلاك في الدماء<sup>(٣)</sup>  
وعروس الهلال في هودج الليل تهادى بموكب للقاء  
وتبدي ذكاء في رونق الصباح وصمت الأفلاك في ذا الزواء

(١) كتبت في بهوبال - رياض منزل - دار السيد راس مسعود.

(٢) الفتاء الشباب.

(٣) الدماء البحر.

سَرَحَ العَيْنَ، لا تَكَلَّفُ أَجْرًا لا يَبَاعُ الجَمَالَ في ذا الفِضَاءِ

### مسجد قوة الإسلام<sup>(١)</sup>

تملاً صدري هموم مفئود  
قد خمدت «لا إله» لا حُرَقَ  
لم يبق إلا اذكار مفئود<sup>(٢)</sup>  
ولا تجلّ ثواء ملحود  
في الخلق كل العيون تنكرني  
من صخر كالمسلمون في خجل  
أعيا إيازا مقام محمود<sup>(٣)</sup>  
لجوهر كالزجاج معدود<sup>(٤)</sup>  
صلاة حُرِّ ريب توحيد  
جلال تكيينه لذي أذن  
فيه وغى هالك وموجود  
وما صلاتي بقلب ذي حُرَق  
ولا أذاني جلال مقتدر  
ولا أذاني جلال مقتدر

### مسرح

تضيء حريم وجودك ذاتك  
لهاف فوق أوج الثريا مقام  
كفاح بها وسرور حياتك  
جليت بها وتجلت صفاتك  
معاذ الإله أترى أين ذاتك؟  
أمن «ذات» غيرك تعمّر قلبا

(١) مسجد عظيم شامخ في دهلي هدمت بعض جذره.

(٢) المشئود حزين الفؤاد.

(٣) السلطان محمود وإياز مولاه؛ أي لا ينال العبد مقام السيد.

(٤) لجوهرهم الضعيف كالزجاج.

فلا تبعثنْ وُثَّها بعد موت فتحيا منأثك فيها ولاثك<sup>(١)</sup>  
 كمال المحاكاة أنك تفنى فيكيفك هم الحياة مماتك<sup>(٢)</sup>

## شعاع الأمل

لعل الشاعر يعني نفسه بشعاع الأمل. الشمس يثت من إضاءة في الشرق أو الغرب فدعت أشعتها إليها، فجاءت الأشعة إلى صدر أمها معترفة بياسها إلا شعاعًا جريئًا يقول للشمس: ذريني أضيء الشرق ولا تيأسي، فكل ليل إلى صباح. الشاعر يرى في أمله ودعوته في الشرق هذا الشعاع.

- ١ -

تنادي أشعتها في ضجر ذكاء وتجمع منها النشر<sup>(٣)</sup>  
 عجبتُ لدنيا نهار وليل عجبتُ لدنيا الغير  
 إلام الهيام بهذا الفضاء وجورُ الزمان بكن استمر  
 فلا دعة في اتقاد برمل تلالاً ذرأته كالشرر  
 ولا دعة في دوام طواف طواف الصبا في رياض الزهر

(١) الوثن جمع وثن. ومناة واللات صنمان ذكرا في القرآن.

(٢) كما التمثيل أن يفنى الممثل فيما يمثله. فعليك أن تفنى فيمن تحاكيه ما دمت مقلدا فتستريح من عناء الحياة.

(٣) النشر: المنتشر المتفرق.

تجمَعْنَ في صَدْرِي المَسْتَنيرِ      ودَعْنَ البَدَاةَ ودَعْنَ الحَضِرِ

- ٢ -

تداعى الأشعةُ من كل صوب      إلى الشمس تبغي لديها قرارا  
وصاحت: تعذّر في الغرب نورٌ      دُخان المصانع يكسوه قارا  
وفي الشرق قلب بصير ولكن      كعالم غيبٍ بصمتٍ تواري  
أنورَ العوالم! لا تهجّرينا      إلى نور صدرك آوى الحيارى<sup>(١)</sup>

- ٣ -

شعاعٌ جريءٌ له نظرة      كنظرة حوراء تغزو الضميرِ  
ولا يستقر على حالة      ترى زئبقاً في ضياء يمور  
يقول: أضيئ على الشرق حتى      أرى ذرّه كشموس تنيّر  
وأجلو عن الهند هذا الظلام      فأوقظ نؤامها للنشور  
ففيها من الشرق أماله      «واقبالها» بالدموع مطير  
تضيء بها أعين النيرين      حصاها يلوح كدرّ منير  
وكم عاش في أرضها غائص      يرى كالضحاحح لجج البحور  
فأعوز أعوادها عازفٌ      وكانت تهيج الجوى في الصدور

(١) الخطاب للشمس.

ينام البرهمن في سُدَّةٍ      لدى مؤثن والزمان يسير  
ومسلمها خذن محرابه      ينوح ومن قَدَرِ يستجير  
فلا يحزننك من الشرق نوم      وفي الغرب لا ترهبن الشرور<sup>(١)</sup>  
قضت فطرة الله أن تُبدلي      بليل الظلام صباح السفر

### أمل<sup>(٢)</sup>

لست من أجناد حرب      لا ولا ربُّ لــــواء  
بيد أني في صروف الدهر      رثبت في اللقاء  
عُدتي ذكر وفكر      وهيام وغناء  
لست أدري أهو شعر      أم سواه ذا العطاء<sup>(٣)</sup>  
إن عبد الحق يُزهى      في محياها ضياء  
من جلال ظل فكر      الكون منه في امتلاء  
ليس دون الكفر إن لم      يكفرا ذا السبلاء:  
أن يرى بالحاضر المش      هود للحرِّ سبباء<sup>(٤)</sup>  
لا تذب غمًا فكم في الدهر      ر أدوارًا وضباء

(١) الخطاب للشمس.

(٢) كتب في بهوبال - رياض منزل (دار السيد راس مسعود).

(٣) هو يدري أنه وهب الذكر والفكر والهيام والغناء ولا يدري أهذا شعر أم شيء آخر.

(٤) ليس أقل من الكفر أن بأسر الحر ما يراه ويشهده فيقيد به فكره وعمله. فالحر لا يقيده ما

يسمى «الأمر الواقع».

كم نجوم حادثات سوف تجلوها السماء

## البصيرة

لم تُخفِ هذي الكائناتُ ضميرَها شوقُ الظهورِ يثور في ذراتها  
 إن صاحبَ النظراتِ شوقُ بصيرةِ تتبدلُ الأيامُ في جَلواتها<sup>(١)</sup>  
 من ذي البصيرةِ في الليالي قد أبناء من خضعوا لها ساداتها  
 من ذي البصيرةِ لي جنونِ ثائر عرفت به الذراتُ طيَّ فلاتها<sup>(٢)</sup>  
 هذي البصيرة لا تيسر لامرئ تخزي القلوبُ بنفسه وسماتها

## إلى أهل الفن

مذهب الشاعر أن الفن ينبغي أن يحرر من محاكاة الطبيعة، وينبغي أن يصور «ذات» صاحب الفن. فالكواكب لمحات من نور لا ثبات لها، و«الذات» العاشقة خالدة. وضمير الإنسان لا تحده الألوان، والذات تخلو للذكر والفكر، وتظهر للشعر والإنشاد غير خاضعة لهذا العالم. والروح المستعبدة فنها عبد، والروح المقدرة نفسها تسيطر على كل شيء.  
 رأيت الكواكبَ لمحاتِ نور وذاتك بالعشق زهنُ خلود

(١) يعني أن نظرة البصيرة تنفذ إلى حقائق الأشياء، ترى الدنيا على غير صورتها الظاهرة.

(٢) الجنون، هو الحماس والإقدام. ويعني الشاعر أن بهذه البصيرة ثار هذا الجنون في نفسه فهذه

الذرات التي تطوي الفلاة تعلمت من جنونه طي الفلاة. والشاعر يقرن الجنون بالفلاة إشارة

إلى قصة مجنون ليلي (تراجع المقدمة في معنى الجنون).

تعالى ضميرك عن كل لون  
 وغيبة ذاتك ذكر وفكر  
 إذا أضنت السروحَ آلامُ رِقِّ  
 وإن عرفت قدرها كنتَ حقًّا  
 فعمت من اللون كل القيود  
 ومحضرها شعرها والنشيد  
 ففنتك عبدٌ رهينُ سجد  
 على الجن والإنس رب الجنود

### قطعة

ثائر الموج كم لدى البحر درٍ  
 في شراري سنا البروق ولكن  
 ولك الوقت والتصرف فيه  
 قد رأينا عجيبة من جنون  
 وإنما الكامل الخلاعة شهْم  
 وإلى اليوم حانة الشرق فيها  
 يئس المبصرون من أمم الغد  
 وعلى الساحل الصّموت غُشاء<sup>(١)</sup>  
 رطبة العود هذه القصباء<sup>(٢)</sup>  
 ليس يا غرُّ! للنجوم غناء  
 فيه رفو لما يشقّ القضاء<sup>(٣)</sup>  
 دون من الكروم فيه انتشاء<sup>(٤)</sup>  
 خمرة للشعور منها جلاء<sup>(٥)</sup>  
 رب ففيها بواطنُ سوداء

(١) الدر في ثورة الموج وليس في سكون الساحل إلا الغشاء فالحياة جد وكد، لا سكون.

(٢) شراري يحرق كالبرق، ولكن هذه النفوس كالقصب الرطب لا تشتعل.

(٣) بعض الجنون يغير ما يظنه الناس قضاء، فهو يرفو ما يمزقه القضاء؛ أي يصلح في هذا العالم  
 مذللاً الطبيعة وما يحسبه الناس قضاء وقدراً في هذا الكون.

(٤) رجل نشوان بفكره وعمله مقدم بنفسه في غنى عن يؤثر فيه سكران بغير خمر.

(٥) الخمر المؤثرة تحجب الشعور؛ ولكن خمرة الشرق لا تؤثر فهي تزيد الشعور جلاء.

## الوجود

أنت تحت الشمس تمضي كشرار	لست تدري ما مقاماتُ الوجودُ
ليس في فنك للذات بناء	ويلُ تصوير وشِدوٍ وقصيدُ
ليس في المكتب والحانة إلا	درس إفناء به الذات تبيدُ
ليت شعري هل تعلمتُ وجوداً	لحياسة ودوام وخلودُ

## الغناء

صاح من أين لناي نشوة؟      صوتُ عودِ ذاك أم من قلب حي؟  
صاح ما القلب؟ ومن أين له      قوةٌ سكرى تحدث كل شي  
ولماذا نظرة منه سرت      مثل ريح صرصر في تحت كي<sup>(١)</sup>  
ولماذا ذلك السر له:      من حياة فيه يحيا كل حي<sup>(٢)</sup>  
ولماذا كل حين مبدل      واردة زمرًا تهفو إلي  
ولماذا صاحب القلب ازدرى      ملك روم ومنى شام وري  
إن وعى للقلب رمزًا مطرب      طوي الفن له أسرع طي<sup>(٣)</sup>

(١) كي-كيكاوس أحد ملوك الفرس القدماء، وفي الأساطير أنه كان له تحت يطير به.

(٢) لماذا خص القلب بهذا السر، أن بحياته تحيا الأمم.

(٣) أن عرف المطرب رمز القلب فأرسل في نعماته خفقات القلوب، طوي مراحل الفن فبلغ غايته

## النسيم والندى

النسيم:

لم أرق في فلك النجوم وإنني      في شق أثواب الأزاهر أعمل  
 وأسير عن وطني غريباً مجبراً      في مسمعي شدو البلابل يثقل  
 قل لي، فقد أعطيت سرّ كليهما،      المرج أم فلك الكواكب أجمل<sup>(١)</sup>

الندى:

لو لم تكن في المرج رهن هشيمه      لرأيته سر الكواكب يحمل<sup>(٢)</sup>

## أهرام مصر

في هذه الأبيات يشيد إقبال بالإنسان وقدرته على الإبداع، ويشير إلى ما قال في أبيات أخرى من أن صاحب الفن لا يحاكي الطبيعة؛ بل يسيطر عليها ويؤثر فيها.

شادت الفطرة كُثباناً لها      في سُكونٍ من يباب قد وقد

(١) يسأل النسيم الندى وقد هبط من السماء إلى المرج، أيهما أجمل. فيقول الندى لو لم تتعلق بالهشيم، وتقف عند المظاهر لرأيت في المرج سر الكواكب وما وجدت فرقاً بين السماء والمرج.

(٢) يسأل النسيم الندى وقد هبط من السماء إلى المرج، أيهما أجمل. فيقول الندى لو لم تتعلق بالهشيم، وتقف عند المظاهر لرأيت في المرج سر الكواكب وما وجدت فرقاً بين السماء والمرج.

رُوعَ الأَفلاكِ فِيهِ هَرَمٌ      أَي كَفَّ صَوَّرَتْ هَذَا الأَبَدُ!  
 مِنْ إِسَارِ الكَوْنِ حَرَزُ صِنْعَةٍ      صائِدٌ ذُو الفَنِّ أَمْ صَيْدًا يَعَدُّ<sup>(١)</sup>

## مخلوقات الفن

قَدْ رَأَى ذُو بَصَرٍ سَرَ الذَّاتِ      وَجَلَّ الفَنُّ لَعِينٍ جَنَّاتِ<sup>(٢)</sup>  
 مَا بِهِ الذَّاتِ وَلَا الكَوْنِ يُرَى      فَهُوَ مِنْ جِهْدِ حَيَاةٍ فِي نِجَاةِ<sup>(٣)</sup>  
 تَعَسَّ الكَافِرُ مِنْ أَصْنَامِهِ      مِنْ حُطَامِ لِمَنَاةٍ وَاللَّاتِ<sup>(٤)</sup>  
 هَالِكٌ صَلَّى عَلَيْهِ فُتُّهُ      فِي ظِلَامِ اللِّحْدِ يَرْنُو لِلحَيَاةِ<sup>(٥)</sup>

## إقبال

جلال الدين الرومي أكبر شعراء الصوفية، ومجد الدين السنائي طليعة شعراء الصوفية الكبار، ومنصور في لغة صوفية الفرس والهند هو الحسين بن منصور الحلاج الصوفي المعروف. والشاعر يتخيل أن السنائي قال في

- 
- (١) لم يحاك باني الهرم كئيبان الرمال، بل شاد هذا الأثر الخالد. فحرر الصنعة من أسر الخليقة، فإن صاحب الفن صائد لا صيد، يأسر الخليقة ولا تأسره.  
 (٢) ذات الإنسان أو مركز وجوده (خودي) في فلسفة إقبال.  
 (٣) ليس في هذا الفن الذات ولا فيه عالم الصباح والمساء، فهو فرار من جهاد الحياة.  
 (٤) المقلد في الفن يتخذ أصنامًا من بقايا أصنام محطمة كانت في الأعصر الخالية.  
 (٥) في الأصل أنت ميت وفنك أمام جنازتك.

الجنة للرومي: لا يزال الشرق في أسر القديم. فقال الحلاج: قد ظهر  
مجدوب أفسى للناس سر الذات، فهو حري أن يبدل الحياة في الشرق.  
قال للرومي في الخلد سنائي: لا يزال الشرق بالتقليد يؤسر  
قال منصور: ولكن قد سمعنا أن سر الذات أفساه قلندر<sup>(١)</sup>

## الفنون الجميلة

نظرات الأفاق مُتعة عين	سرحوا العين يا أولي الأبصار
غير أنني أقول: ما نظرات	لا تجلّي كوامن الأسرار <sup>(٢)</sup>
مقصد الفن في الحياة لهيب	أبدي فما وميض الشرار؟ <sup>(٣)</sup>
قطر نيسان! ما اللآلي إن لم	تتلاطم بها قلوب البحاز <sup>(٤)</sup>
ما نسيم الصباح في الشعر	إذا ما أذوى سنا الأزهار <sup>(٥)</sup>
ليس إلا الأعجاز يحيى فنن	ليس ضرب الكلیم فيه، عواری <sup>(٦)</sup>

(١) راجع المقدمة في معنى قلندر.

(٢) إن لم تنفذ نظرات صاحب الفن إلى حقائق الأشياء فما هي بمجدية.

(٣) الفن يصور لهيب الحياة الأبدي، فلا قيمة للفن الذي يخرج شراراً لا يلبث أن يطفأ.

(٤) قطر المطر في نيسان يخلق منه الدر في الصدف. يقول الشاعر: يا قطر نيسان ما قيمة الدر

الذي لا يضطرب له قلب البحر. يعني أن بدائع الفن ينبغي أن يجيش لها قلب العالم.

(٥) إن كان نسيم الصبح المتمثل في إنشاد الشاعر ولحن المعنى، يذبل الزهر في الروضة ولا

ينضره فأى نسيم هو؟

(٦) حياة الأمم بالإعجاز، فالفن الذي لا إعجاز فيه عارية لا دوام لها.

## صبح المرج

خلاصة ما يؤخذ من هذه الأبيات أن الإنسان ينبغي أن يعمل في هذه الأرض غير غافل عن عالم الغيب، كضوء الصبح يغطي السهول والجبال ولكنه موصول بالفلك، وعالم الغيب والشهادة ليسا متباعدين كما قال الندى: إن الطيران يعلم أن الأرض ليست بعيدة من السماء.

الزهرة:

وافد الأفلاك! هل خلت بعيدًا موطني؟ لا إنه غير بعيد

الندى:

من يطر ما بين أرض وسماء يتبين أنه غير بعيد

الصبح:

أقبلن في الروض كالصبح رقيقًا ليس يؤذى وطؤه قطر الندى  
واحضن الأجيال والبيد ولكن من عرى الأفلاك لا تحلل يدا

## الخاقاني

شاعر فارسي كبير، توفي في تبريز سنة ٥٨٢ هـ. وله من الكتب «تحفة العراقيين». سجل فيها ما رأى في العراقيين العربي والعجمي حينما مر بهما في طريق الحج، وله ديوان، ومنظومة اسمها «هفت إقليم» (الأقاليم السبعة).

وهذه الأبيات جاءت في الأصل في القافية المزدوجة وعلى وزن =  
مفعول مفاعلن فعولن. وهو ضرب شائع في الشعر الإسلامي الشرقي  
وهو مشتق من الأوزان العربية، ولم أجده في الشعر العربي إلا في أبيات  
لبهاء الدين زهير أولها.

يا من لعبت به شمول ما أطف هذه الشمائل

وقد ترجمتها على قافيتها ووزنها لأزيد في شعرنا مثالا في هذا الوزن  
إلى أبيات زهير:

ذو القلب يراه قرة العين	ذا صاحب تحفة العراقيين
الحجب جميعها تُنير	تنشق لفكره الستور
لا يسمع قول: لن تراني <sup>(١)</sup>	يجتاز بعالم المعاني
والدهر يجيش في عُباب <sup>(٢)</sup>	فأسأله بذلك التراب
كس دم بموجز الخطاب: <sup>(٣)</sup>	ذا محرّم عالم الثواب
إبليس ثوى ومات آدم <sup>(٤)</sup>	«ناهيك بشر هذا العالم

(١) يتكشف له عالم المعاني فلا يسمع منه (لن تراني) وهذا رمز إلى الآية في قصة موسى: {قال لن تراني}.

(٢) أسأله عن هذا العالم الأرضي وعن حوادث الدهر. وفي القرآن الكريم {فأسأل به خبيرا} أي: أسأل عنه.

(٣) المحرم المطلع على السر. واستعملها شعراء الفرس وغيرهم فأقررتها في العربية وليست بعيدة من المعنى الأصلي.

(٤) حسبك تعريفا بهذا العالم أن آدم مات وبقي إبليس أي بقيت نزعات الشر في هذا العالم. فهو عالم محنة وجهاد. وهذا البيت مضمن من شعر الخاقاني.

## الرومي

هو مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي. والشاعر يتخذه إمامًا  
ويشيد بذكره في شعره.

ما زال طَرْفُكَ فِي خَلْطٍ وَفِي سِنَةٍ وَعِنكَ ذَاتُكَ فِي الْأَسْرَارِ لَمْ تَنْزَلِ  
وَلَمْ تَنْزَلِ فِي صَلَاةٍ لَا قِيَامَ لَهَا وَبِالضَّرَاعَةِ عَزَّ الرُّوحَ لَمْ تَصِلِ<sup>(١)</sup>  
وَمِزْهَرُ «الذات» أوتارًا مقطعة مازلتَ عن نغمة الرومي في سُغْلٍ

## الجدّة

يرى الشاعر أن الإنسان لا ينفذ ببصره إلى حقائق الأشياء يقول: إنك  
إن صدقت النظر فيما حولك رأيت دنيا أخرى جديدة غير التي تراها،  
وتغير إدراكك هذا العالم وتبين أنه مسخر لك.

إِنْ صَدَقْتَ نَفْسُكَ فِي الدَّهْرِ النَّظْرَ تُنَوِّرُ الْأَفْلَاكَ مِنْكَ فِي الْبُكْرِ  
وَتَسْتَضِيءُ الشَّمْسُ مِنْكَ بِالشَّرْرِ وَيَنْجَلِي قَدْرُكَ فِي سِيْمَا الْقَمَرِ  
وَالْبَحْرِ يَلْقَى مِنْكَ مَوْجًا ذَا دُرِّ وَتَسْتَحِي إِعْجَازَ صُنْعِكَ الْفِطْرِ<sup>(٢)</sup>  
تَخَذْتَ أَفْكَارَ السُّورِيِّ مِرَاآتِكَ فَكَيْفَ لَا تَبْلُغَ حَتَّى ذَاتِكَ<sup>(٣)</sup>

(١) الصلاة قيام وسجود، يقول الشاعر إنهما رمز الدلال والضراعة (ناز ونيان) أي الخضوع  
والسيادة، ولكن بعض الناس صلاتهم سجود بغير قيام... إلخ.

(٢) تستحي الخليفة من صنعك المعجز، تراه أحسن منها.

(٣) إنك استعرت أفكار الناس فلم تبلغ في هذه الحياة حتى ذاتك. فقد أضعفتها بالتقليد.

## مرزا بيدل

من شعراء إيران، ذهب إلى الهند أيام السلطان شاه جهان فأكرم السلطان وفادته. وهو شاعر صوفي له ديوان كبير يغلب فيه التعمق وتكثُر الدقائق.

وقد أعجب إقبال بفكرة في بيت لبيدل فبنى عليه هذه الأبيات، وهي أن هذا العالم الخسي لا خطر له؛ بل لا وجود له إلا عند من ضاق عن إدراك الحقائق الكبرى التي يختفي معها هذا العالم، كالخمر يظهر لونها كأس الزجاج لضيقها. وترجمة البيت في النثر.

«لو اتسع القلب ما ظهر هذا	خرج لون الخمر من شدة ضيق
ذي سماء وجمال وفجاج	ذاك حقّ أم عيون في اعوجاج؟
فرّق الآراء إثبات ونفي	أهي دينا أم خداع في الحجاج؟
عقدة قد حلّها بيدلُ حقًا	أعجزت من قبله كلّ علاج:
«ما بدا ذا المرجّ لو في القلب	بان لونُ الخمر من ضيق الزجاج»

## الجلال والجمال

الشاعر من المعجبين بالقوة الداعين إليها، وهو يدعي هنا إلا جمال بغير جلال. يرى الكمال في شجاعة على لا في خيال أفلاطون. ويرى سجد السماء للقوة جمالا - وقد تخيل الشعراء أن انحناء السماء في رأي

العين سجود- والنغمة التي لا قة فيها نفخة ضائعة؛ بل لا يحب أن  
يجازي إلا بنار شديدة الالتهاب...  
حَسْبِي كَمَا لَا قُوَّةَ مِنْ حَيْدَرٍ      وَكَفَاكَ مِنْ أَفْلَاطِنَ الإِدْرَاكِ  
وَأَرَى جَمَالًا فِي بَهَاءٍ أَنْ تُرَى      فِي سَجْدَةٍ لِلْقُوَّةِ الأَفْلَاكِ  
وَلِنَغْمَةٍ مِنْ دُونَ نَارِ نَفْخَةٍ      مَا الْحَسَنَ إِلا بِالْجَلَالِ يُحَاكِ  
لَا أَرْتَضِي نَارَ الْجَزَاءِ وَلَمْ تَكُنْ      وَهَاجَةً وَلِهَيْبَهَا دَرَاكُ

### المصوّر

يرى الشاعر أن المصور وكل ذي فن ينبغي أن يظهر ذاته فيما يصور لا  
أن يحاكي الطبيعة، وأن المحاكاة موت.  
قَلَدَ الْغَرْبَ فَنُ عُجْمٍ وَهِنْدِ      عَمَ هَذَا الْبِلَادَ مَوْتِ الْخِيَالِ  
شَفَّنِي الْغَمُّ أَنْ بِهِزَادَ عَصْرِي      يُفْقَدُ الشَّرْقَ بِهَجَّةِ الآزَالِ<sup>(١)</sup>  
يَا خَيْرًا بَفَيْتَهُ فِيهِ تَمَّتْ      صَنَعَةُ الْعَصْرِ وَالْعَصُورِ الْخَوَالِي  
كَمْ تُرَى مِنْ خَلِيقَةٍ وَثْرِيهَا!      أَرْنَا الذَّاتَ فَوْقَ هَذَا الْمَجَالِي

(١) بهزاد مصور فارسي مشهور نبغ أيام الدولة الصفوية والشاعر يفتنم لأن بهزاد عصره يقلد الغرب، فيفقد الشرق البهجة القديمة.

## الغناء الحادل

يرى الشاعر أن الغناء وكل لحن، يحل إن كان فيه قوة الذات وحرقة الحياة، ويحرم أن أضعف الذات ولم يقبس من الحياة نازًا. الغناء يفتح القلب فكيف يفتحه أن أماته. وفي الأفلاك ألحان طبيعية تذيب النجوم، وتبرئ الإنسان من الخوف والغم، وترفع النفس من العبودية إلى السيادة... إلخ. والنعمة الحية التي يحلها فقهاء الذات لا تزال تنتظر مطربًا يعلنها:

تفتح القلب نعمةً من غناء	أي فتح والقلب رهنٌ هُمود؟
في صدور الأفلاك لحنٌ خفي	صاهرٌ حرُّه نجومٌ الوجود
يهجر الناس منه خوفٌ وغم	وإيازٌ يسمو إلى محمود <sup>(١)</sup>
تبه هذي النجوم يفنى ولكن	أنت تبقى ونعمة التوحيد <sup>(٢)</sup>
قد أحلت شريعةً الذات لحنًا	لم يزل في انتظار شادٍ مُجيد <sup>(٣)</sup>

(١) السلطان محمود بن سبكتكين وخادمه إياز.

(٢) يشبه عالم الكواكب بالتيه ويقول: إنه يفنى ويبقى الإنسان ونعمته الموحدة.

(٣) اللحن الذي أحلته شريعة الذات وهو الذي يحيي النفوس ويقويها لم يظفر به أحد فلا يزال ينتظر مطربًا.

## الغناء الحرام

ما بذكرى من التصوِّف وَجَدُ      أو برأيي ثوابهم والعذاب  
قَرَّبَ اللهُ مذهبِي مَنْ فقيهه      عُرِفَتْ عنه سِنَّةٌ وكتاب:  
«إِنْ سَرَتْ فِي اللّحُونِ دَعْوَةٌ مَوْت      حَرَّمَ النَّايُّ عِنْدَنَا وَالرَّيَابُ»<sup>(١)</sup>

## النافورة

لا يَطْبِينِي مَسِيرُ النّهرِ مطرِداً      مُسائِراً ثَرَبَهُ جَنبًا إلى جنبِ  
دعِ ذاك، وانظر إلى نافورةٍ بَسَقَتْ      تُصَعِّدُ المَاءَ مِنْهَا قُوَّةُ القَلْبِ<sup>(٢)</sup>

## الشاعر

ينفر إقبال من شعر الرخاوة والذلة ويقول هنا: من ضعفت «ذاتهم»  
فليحترسوا من ألحان العجم فهي تدعو إلى الرقة والترف.

ولا بد للشعر أن يكون في حدة السيف، ملائمًا لمعركة الحياة مهما  
تكن صورته، كالخمر في زجاجة أو صراحية، ينبغي أن تكون محرقة.  
وليس لشوق الشاعر غاية ففي كل حين طور جديد وبرق للتجلي جديد.  
في غابة الشرق نايٌّ يبتغي نَفْسًا      يا شاعر الشرق هل في صدرك

(١) هذا مذهبه؛ الألحان التي تمت النفوس حرام.

(٢) لا يعجب الشاعر بالنهر يسائر الأرض، بل يعجب بنافورة قوية تقذف الماء عاليًا في الهواء.

من كان في ذاته من رِقِّهِ خَوْرٌ      فقل له من لُحونِ العُجمِ يَحْتَرِسُ  
 إناؤها من زجاج كان أو خزف      اجعل بخرمك سيفاً لمعه قَبَسُ  
 لم تبصر الشمس من دُنيا يُخال      مَجْدٌ بغير الجِلالِ المرِّ يُلْتَمَسُ  
 طوْرٌ جديد، وبرقٌ كلُّ آونةٍ      لا قَرَبَ اللهُ للعشاق ما التمسوا

### شعر العجم

كم بشعر العُجم من سِخرٍ ولكن      منه سيفُ الذاتِ ذو حدِّ كليلٍ  
 صَمْتُ طيرِ الصبحِ أولى نمِ غناء      إن سرى باللحن في الرّوضِ ذبولُ  
 ليس ضرباً ما يشقُّ الطود لكنُ      ليس منه عرش برويز يميل<sup>(١)</sup>  
 ينحت العصرُ أيا إقبالاً صخرًا      فاحذرُنْ من كل ما يُبدِي الوذيلِ

### أصحاب الفن في الهند

تخيلُهم جَنَازَةٌ كلِّ عشقٍ      وظُلْمَةٌ فكرهم للحبيِّ قَبْرُ  
 ومَوْتُهُمْ به نقشُ المنايا      وليس لفنهم بالعيش خُبْرُ<sup>(٢)</sup>

(١) ليس ضرباً ما لا يزلزل عرش برويز وإن شق الجبل. والإشارة إلى قصة فرهاد الذي شق طريقاً في الجبل ولم يظفر بشيرين كما وعدته برويز.

(٢) الوذيل جمع وذيلة وهي المرأة. والشطر فارسي من شعر العراقي. ومعناه احذر من كل ما يبين في المرأة «أي هذا عصر حقائق لا خيالات، ينحت الصخور ويحطم كل ضعيف، فكل ما بدا في الزجاج فلا تركز إليه».

(٣) الموتى: معبد الأوثان.

يُنِيمُ الرُّوحَ فِي إِيقَازِ جِسْمٍ      وَدُونَ الْمَجْدِ يُسَدِّلُ مِنْهُ سِستَرُ  
يُسَخِّرُ لِلْأَنْوثةِ كُلِّ شَيْءٍ      لَهُمْ قِصَصٌ وَتَصَوِيرٌ وَشِعْرٌ<sup>(١)</sup>

## الرجل العظيم

هُوَ فِي الْحَبِّ عَمِيقٌ      وَهُوَ فِي الْبُغْضِ عَمِيقٌ  
قَهْرُهُ فَرُوقُ عِبَادِ اللَّهِ      بَرٌّ وَشَسْفِيقٌ  
نَشَاتُهُ ظَلْمَةُ التَّقْلِيدِ      بِالنَّاسِ تَحِيْقٌ  
غَيْرَ أَنْ الطَّبْعَ بِالْإِبْـ      دَاعٍ وَالخَلْقَ خَلِيْقٌ  
هُوَ فِي الْمَجْمَعِ خَالٍ      وَمِنَ الْخَاشِدِ طَلِيْقٌ  
مِثْلُ شَمْعِ الْحَفْلِ؛ فِي الْحَفْلِ      لِحَيْدٍ وَرَفِيْقٌ<sup>(٢)</sup>  
مِثْلُ شَمْسِ الصَّبْحِ؛ فِكْرٌ      فِيهِ نُورٌ وَبَرِيْقٌ  
لَفْظُهُ حَرٌّ يَسِيرٌ      لَكِنَّ الْمَعْنَى دَقِيْقٌ  
نَظَرٌ فِيهِ سَدِيدٌ      عَنِ بَنِي الْعَصْرِ سَحِيْقٌ  
لَيْسَ يَدْرِي أَيُّ حَالٍ      فِيهِ أَشْيَاخُ الطَّرِيْقِ

(١) الفن الهندي يعني بالشهوات الجسيمة ويفتن في تصويرها، فهو يوقظ الجسم وينيم الروح،  
ويسخر كل شيء للأنثة.

(٢) يكون في جمع من الناس وكأنه وحده، له فكره ونظره. مثل الشمعة في الحفل رفيقة  
الحاضرين ووحيدة بحرقتها ونورها.

## عالم جديد

الرجل العظيم يرى في منامه أو خياله عالمًا جديدًا فيعمل عزمه، فلا يستعصى عليه أن يحقق في عالم الحقائق ما رأى في الرؤيا أو الخيال.

وهذا العالم الجديد الذي يخلقه ناشئ من نفسه، فهيكله جسمه الصغير، وروحه تكبيره وإيمانه وعزمه.

من كان حي القلب في الدنيا فما يخفى عليه من القضاء ضميره تجلوه رؤياه كونا مُحدثًا بدع المثل يروقه تصويره فإذا جلا صوت الأذان منامه شاد الذي في حلمه تعبيره ولهكل الدنيا الجديدة طيئه هذا الضئيل، وروحها تكبيره

## خلق المعاني

خلق المعاني من الخلاق موهبة لكن للفن في الفنان إجهادا من حرقه في دم الباني، مشيدة حانات حافظ آوزونات بهزادا<sup>(١)</sup> ما جوهر يتجلى دون مجهدة من ومضة الفأس نارت دارفرهادا

(١) حافظ الشيرازي الشاعر الفارسي الكبير وحاناته شعره. وبهزاد مصور فارسي مشهور عاش في أيام الدولة الصفوية. والزونات جمع زونة وهي معرض الأصنام أو الدمى يضرب به المثل في الجمال والزينة.

## الموسيقى

دَلَّ عَلَى بَرْدِ دَمِ الْمُغْنِي لِحْنٌ لَهُ الْوَجْوهُ لَا تُنِيرُ<sup>(١)</sup>  
 أَنْفَاسُ زَامِرٍ شُمُومٌ لِحْنِ . إِنْ كَانَ لَمْ يَطْهُرْ بِهِ ضَمِيرُ<sup>(٢)</sup>  
 بِالشَّرْقِ وَالْمَغْرَبِ فِي رِيَاضِ مِنْ الشَّقِيقِ شَاقِنِي الْمَسِيرِ  
 فَمَا مَرَرْتُ بَيْنَهَا بِمَرْجٍ شَقَّتْ بِهِ جَيُوبُهَا الزُّهُورُ<sup>(٣)</sup>

## لذة النظر

أَيُّ ذَاتِ حَوَى فَتَى الصِّينِ مَنْ قَا لَ لِجَلَادِهِ أَمَامَ الْحَمَامِ:  
 مَنْظَرٌ رَائِقٌ، تَمَهَّلْ، تَمَهَّلْ لَأَرَى لِحْظَةً وَمِيْضَ الْحُسَامِ<sup>(٤)</sup>

(١) اللحن الذي لا تنير له وجوه السامعين دليل على برود نفس المغني وخمود عاطفته.

(٢) لا بد للمطرب من طهارة الضمير لتكون ألقانه صدى الضمير الطاهر، وإلا فأفاسه في اللحن سم للسامعين.

(٣) زهور الشرق والغرب لم يهيج بها الطرب فتمزق جيوبها، كما يفعل من يغلبه الطرب من حزن أو فرح - يعني لم يظهر المطربون أسرار النفس، ويبدو مكتون الضمير الإنساني، ولا تزال «الذات» محجوبة.

(٤) رجل صيني قام أمام الجلاد والسيف مصلت فلم يشغله هذا المقام عن الإعجاب بوميض السيف فقال للجلاد: أمهلني لأمتع النفس بهذا المنظر. فهذا يعجب به إقبال أي إعجاب ويرى فيه ذاتاً كاملة.

## الشعر

لم أدر سرَّ الشعر إلا نكتةً      سيرُ الشعوب تُبينُها تفصيلاً:  
 الشعر فيه من الحياة رسالةً      أبديةً لا تقبلُ التبديلاً  
 إن كان من جبريلَ فيه نغمة      أو كان فيه نفخُ إسرافيل<sup>(١)</sup>

## الرقص والموسيقى

إن للشعر بهجةً ضاء منها      روحُ جبريل والرجيمُ اللعينُ  
 ومن الموسيقى ابتهاجٌ وشوق      وكذا الرقص نشوةٌ وفتون  
 قد سمعنا في الصين قولَ حكيم      فيه أفسى مخبآتِ الفنون:  
 إن للموسيقى من الشعر رُوحاً      ومن الرقص جسماً في العيون

## ضبط النفس

دأب أهل الزمان شكوى الزمانِ      ليس للحرّ آهةٌ في طعانِ  
 قد أسر النجوى إليّ عليماً      من شيوخ القلوب والعرفان:  
 إن كَظم النواح شيمةً ليثٍ      ومن النوح شيمة الثعلبانِ

(١) الشعر يحمل رسالة من الحياة أبدية إن كان جميلاً هادياً كنغمات جبريل (وجبريل رسول الوحي) أو كان فيه صعق وبعث كصوت إسرافيل.

## الرقص

دع لأهل الغرب رقصًا بجسوم      إن رقص الروح من ضرب الكلم  
فهذا الرقص سلطان وفقر      وبذاك الرقص هم لا يرئم

## القسم الخامس سياسيات المشرق والمغرب

### انقلاب

أبمشرق أو مغربٍ      نأز الحياة ونوزها  
فهنا تموت ذواتها      وهناك مات ضميرها  
وأرى القلوب لثورة      ملء البلاد زفيرها  
فعل ديناك القديمة      للممات مسيرها

### تملق

العنوان في الأصل (خوش آمد) وهي عبارة فارسية بمعنى مرحباً أو أهلاً وسهلاً. ومعناها بالأردوية التملق. وقد كتب إقبال هذه الأبيات حينما وضع الإنكليز نظام الاستقلال الداخلي لولايات الهند وكثرت مناصب الوزراء فيها.

جهلتُ أمورَ الناسِ غيرَ مجرّبٍ      ولكنَّ ربَّ القلبِ للغيبِ يشهدُ  
فقل لوزير ما بدا لك مادحاً      فذانك دُستور وعهد مجدّد  
إذا قال: صقر الليل لليوم مادح      فهل ذاك حق أو دهانٌ يردّد<sup>(١)</sup>

(١) إذا قال أحد المادحين لليوم: هي لا تطير إلا ليلاً أنها صقرا لليل، فهل هذا حق أو ملق؟

## المناصب<sup>(١)</sup>

سِحْرُ الْفِرْنَجَةِ قَدْ أَحَاطَ بِمُؤْمِنٍ      يَا وَيْحَ عَيْنِي قَدْ هَمَّتْ عِبْرَاتُهَا  
 فَلَعَلَّ مَنْصِبِكَ الرَّفِيعَ مَبَارَكٌ      فَالذَّاتُ مِنْ جَرَاهِ حَانَ مِمَاتُهَا  
 هَذَا الْقَضِيَّةَ مَعْضِلٌ إِخْفَاؤُهَا      وَضَحَّتْ لِكُلِّ مَفَكَّرٍ آيَاتُهَا:  
 «لَا شِرْكَ فِي حُكْمِ لِعَبْدٍ إِنَّمَا      شُرَيْتَ عَقُولَهُمْ وَخَابَ شُرَاتُهَا»<sup>(٢)</sup>

## أوروبا واليهود

إقبال توفي سنة ١٩٣٨ فهو لم يشهد حرب فلسطين، ولم ير تسلط اليهود على أوروبا وأمريكا كما رأينا؛ ولكنه نظر إلى الحوادث نظرة عارف خبير.

نظام ومالٍ وعيشٌ رغيدٌ      وظلمة صدر لها القلب يقلي  
 دخان المصانع في الغرب داجٍ      فواديه ليس بأهل التجلي  
 رأيتُ حضارته في احتضار      تموت اعتباطاً، وما الموت  
 فليس غريباً تولّى اليهود      كئائسه بعد هذا التولي

(١) هذه الأبيات قيلت في الأحوال التي أنشئت فيها الأبيات السابقة.

(٢) الأمم المحكومة لا يمكن أن تشارك حاكميها في الحكم مهما وضعوا لها من نظم. شريت: بيعت، والشراة البائعون.

(٣) تموت في شبابها، والموت لا يمهل.

## عبودية الأنفس

لا تخلو الأمم الذليلة من شعراء وحكماء وعلماء يسلكون مسالك  
شتى إلى غاية واحدة، هي أن يروضوا الأمة على الخضوع، ويمحوا من  
سجايها الإقدام حتى ترضى بالرق، هذا مقصدهم وكل تأويل في القول  
تحيل لهذا المقصد.

ليس يخلو زمانُ شعب ذليل	من عليم وشاعرٍ وحكيم
فرقتهم مذاهبُ القول لكن	جمع الآراء مقصدٌ في الصميم:
«علموا الليث جفلة الظبي	قصص الأسد في الحديث
همُّهم غبطة الرقيق برقٍ	كلُّ تأويلهم خداع عليم

## الروس الشيوعيون

إن سَمِرَ القضاء جِدُّ عَجِيبٍ	أَيُّ سِرِّ حوى ضَمِيرُ الزمان
ليس يَألو الصليب سِرًّا قَبِيلٌ	كان يَرجو النِجاةَ بالِصُّلبان
أمر الوحي مُلجدي الروس «هُدُوا	ما أقام القسوس من أوْثان»

(١) في هذا البيت مقصد القائلين المذكورين في البيتين السابقين.

## اليوم والغد

مَنْ عَدَاهُ لِيَوْمِهِ فِي جِهَادٍ      نُورُ نَفْسٍ وَشُعْلَةٌ فِي الْكُبُودِ  
 مَالَهُ الْحَقُّ فِي مَتَاعٍ وَهَمِّ      يَسْتَسِرَّانِ فِي الْغَدِ الْمَوْعُودِ  
 لَيْسَ أَهْلًا لِمَعْرَكِ الْغَدِ مَنْ فِي      سِيرِهِ (الْيَوْمِ) لَيْسَ بِالْمَعْدُودِ

## المشرق

جَيْبُ الشَّقَائِقِ مِنْ شُدُوبِ غَدَا      وَنَسْمَةُ الصَّبْحِ رَوْضًا تَطْلُبُ  
 مَا «مِصْطَفَى» أَوْ «رِضَا» جَلِّي      فَالرُّوحُ فِي الشَّرْقِ جِسْمًا تَطْلُبُ  
 وَحَقُّ ذَاتِي عَقَابٌ غَيْرَ أَنْ لَهَا      ذَا الْعَصْرِ جِدْعًا وَحَبْلًا يَطْلُبُ

## سياسة الإفرنج

يَا رَبِّ نِدَّكَ فِي غَرْبِ سِيَاسَتِهِ      وَمَا تَعْبُدُ إِلَّا إِلَهَامَ وَالرُّوسَا<sup>(١)</sup>  
 خَلَقْتَ إِبْلِيسَ فَرْدًا مِنْ لَظِي لَهَبٍ      وَمِنْ تُرَابٍ أَقَامَتْ أَلْفَ إِبْلِيسَا

(١) أنا شدوت حتى مزقت شقائق النعمان جيوبها وجدًا. ونسيم الصبح لا يزال يطلب روضًا ينضّر أزهاره.

(٢) لا مصطفى كمال ولا رضا بهلوي كان مظهرًا لروح الشرق، فهي تطلب الآن بدنا تظهر فيه.

(٣) وذاتي تستحق العقاب بما دعت الناس إلى اليقظة والحرية، ولكن العصر لا يزال يطلب حبلاً وجدعًا ليصليني ليس قادرًا على صليي.

(٤) الروس: أي الرؤساء؛ أي لا يعبد هذه السياسة إلا رؤساء أوربا وحكامها.

## العبيد...

تعلمتُ بين الغرب والشرق حكمةً      أراها لأهل الرق أجدى الفوائد:  
 فلا ملك أو فقراً ودينًا وحكمة      يؤسس إلا فوق صخر العقائد  
 فإما خلا منها ضميرُ جماعة      فأفعال رعديد وأقوال هامد

## إلى أهل مصر

من أبي الهول أتني نكتة      وأبو الهول طوي السرِّ القديم<sup>(١)</sup>  
 بدلت سير شعوب جملةً      قوة لم يجفها العقل الحكيم  
 طبغها في كل عصر مائل      يُبدل الشكل ويبقى في الصميم  
 فهي طورًا في حُسام المصطفى      وهي طورًا في عصا موسى الكلميم

(١) أبو الهول: رمز العقل والقوة، رأس إنسان على جسم أسد.

الحبشة  
(١٨ آب سنة ١٩٣٥)

عقبانُ أوربا بغير علم      في جيفة الأبحاش أي سم  
 قد آن للميتة أن تجفنا  
 حضارة تكمل بالمخزاة      وعيش أقوام على الغارات  
 وكل ذئب طارد خروفنا  
 وجه الكنيسة اكتسى شئنا      روما أراقت ماءه نهارا  
 باب قد أضحى الورى أسيفا<sup>(١)</sup>

(١) يعني البابا رئيس الكاثوليك.

## أوامر إبليس إلى أبنائه الساسة<sup>(١)</sup>

يصور الشاعر في هذه الأبيات عمل الساسة بأوامر أبيهم إبليس؛ وإنما يأمرهم بإبعاد أهل الأديان كلها من الدين ولا سيما المسلمون، هؤلاء الصابرون المستميتون. وقد خص العرب الذين نشأ الدين في حضانتهم والأفغان الذين تسيطر عليهم حمية الدين... إلخ.

ثم أوصاهم بإخراج إقبال من الروض؛ لأن نفسه يشعل الحقائق؛ أي يثير النار في الشباب فيبعدهم عن سياسة إبليس.

عليكم بالبرهمن فاربكوه	بأشراك السياسة والجمال
وأصحاب الزناير اطردهم	من الدير القديم بالاحتيال
وذلكم الصبور على الرزايا	ومن هو بالمنايا لا يبالي <sup>(٢)</sup>
فروح محمد منه اسلبوه	لتعمل فيه أحداث الليالي
وفي العرب اقدفوا في كل فكر	من الإفرنج ألوان الخيال
بأرض العزب للإسلام كيدوا	ليُسرع في الحجاز إلى الزوال
وفي الأفغان بالدين اعتصام	وليس علاج هذا بالمحال
عليكم بالفقيه فأخرجوه	من الأرض المنيعه والجمال
وقواما على الحرّم اسلبوهم	لهم سُننًا تحيد عن الضلال <sup>(٣)</sup>

(١) كتبت في شيش محل، دار أمير بهوبال.

(٢) ذلكم الصبور... إلخ يعني المسلم.

(٣) يريد بقوام الحرّم من تولى هداية المسلمين إلى دينهم في الحرّم وغيره.

غَزَالَ الْمَسْكُ مِنْ خَتَنِ أَثِيرُوا      وَخَلَّوْا الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الْغَوَالِي  
وَإِقْبَالَ لَهُ شَدُوْ مِثْسِر      بِهِ زَهَرَ الشَّقَائِقُ فِي اشْتِعَالِ  
مِنَ الْمَرْجِ اطْرَدُوا هَذَا الْمَغْنِي      لَتَحْمُوا النَّاسَ عَنِ هَذَا الْمَقَالِ

### جماعة الأمم الشرقية<sup>(٢)</sup>

سُخِرَ الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ مَسْخُرُ      لَيْسَ بِدَعَا إِنْ الْقَضَاءُ تَغْيِرُ  
جَبْرُوتُ الْفَرَنْجِ غَرَّتَهُ رُؤْيَا      عَلَهَا غَيْرَ مَا رَأَى تُعْبِرُ  
إِنْ جَنِيُوا لِلشَّرْقِ طَهْرَانُ صَارَتْ      فَلَعَلَّ التَّبْدِيلَ لِلْأَرْضِ يُقَدَّرُ

### الملك الخالد

إِنِّي لَغَوَاصُ الْمَعَانِي فِطْرَةٌ      لَكُنْتِي بِحَرَ السِّيَاسَةِ أَحْذَرُ  
مَا إِنْ يُحِبُّ مُلْكًا خَالِدًا      وَلَوْ أَنَّ فِيهِ مِنَ الرُّؤْيَى مَا يَسْحَرُ  
فَرَهَادُ أَبْقَى الدَّهْرِ نَحْتِ صَخُورِهِ      لَمْ يَبْقَ مِنْ پَرُوزِ مُلْكٍ يُؤَثَّرُ

(١) بلاد ختن في تركستان كانت معروفة بمسكها، وغزال ختن مشهور في الشعر الفارسي وما يتصل به. ويريد الشاعر أخلوا الأرض من المعاني الجميلة التي تعطرها؛ أي أخلوا بلاد المسلمين من السنن القويمة والأمال العالية.

(٢) كتبت في شيش محل (دار أمير بهوبال).

## الجمهورية

بدا السر في قولة من أريبٍ      وما كان من قبله يُعلنُ: (١)  
نظام الجماهير حُكمُ به      تُعدُّ العبادُ ولا تُوزَنُ

## أوربا وسوريا

أهدت الشام إلى الغرب نبيًا      هو عَفٌّ ومُوايِسُ وِصْبور  
ومن الغرب إلى الشام هدايا      من قِمَارٍ ونِساءٍ وخمور

من موسوليني  
(إلى أنداده في المشرق والمغرب)

أرى العصر يَأبى من مُسولينَ      وأخيارُ أوربا عليَّ غِضابُ  
كلانا بآلات التمدنِ آخذُ      أتَنقِمُ أفعالَ السيوفِ جِرابُ  
وقد نَقموا مِنِّي غِرامَ تَمَلِّكِ      أما نارُ منهم بالضعافِ ضِرابُ  
لِمَن شِعْبَذاتُ الحِكمِ تُبقي مَمالِكا      ولا مُلْكُ أو ملكُ بهينَ يُصابُ  
أينفُخُ في الأعوادِ أبناءَ قِيسِرِ      ويُجَبى إليكم عامرُ وييابُ (٢)

(١) ستندل.

(٢) يشغل أبناء الرومان بالزمر والموسيقى وغيرهم يملكون الأرض ويضربون الخراج حتى على الصحاري.

نهبتم خيامَ البدو والزرعَ والقرى      وكم كان منكم للغروش نهاب  
قصدنا من التمدين قتلاً وغاراً      أمسُكم فخرٌ ويومي عابٌ؟

## شكوى

مستقبلَ الهند من يدري؟ وما      يا ويحها، درةٌ في التاج تُرثهنُ<sup>(١)</sup>  
دهقانها من ظلام اللحد مطرَحَ      ولم يزل مِرْقاً تحت الثرى الكفنِ  
الجسم والروح للباغين قد رُهنَا      لم يبق في أرضها دار ولا سكن  
رضيتَ رقاً لأوربا بلا أنفِ      فمنك شكواي لا منها، وبى حزن

## انتداب

ملِك الحضارة أين يُحتم سيرة؟      في عصرنا هذا السؤال يسيرُ:  
في حيث لا خمزٌ ولا قمزٌ ولا      ضيقُ الثياب على النساء يجور  
والروحُ في بدنٍ قويٍّ خافقُ      لكن على سنن الجدود يسير  
حيث المدارس غائضٌ ينبوعها      وابن البداوة في الذكاء جسور  
يُفتى جهابذة الفرنجة أنما      هذي البقاغ من التمدن بُور<sup>(٢)</sup>

(١) كان الإنكليز يقولون: إن الهند أثمن درة في تاج الإمبراطورية.

(٢) حيثما وجد الناس على الأخلاق القويمة والفترة السليمة قال الفرنج: هذه الأرض في حاجة

إلى التمدن فأرسلوا إليها ملك التمدن باسم الانتداب.

## السياسة اللادينية

ما الحق مخيف عن فؤادي سرّه  
فسياسة اللادين عندي خسة  
فلقد حباني الله قلباً مُبصراً  
لما قلّى حكم الفرنج كنيسةً  
مات الضمير وإبليس افتري<sup>(١)</sup>  
ساسوا كشيطان بلا قيد جرى  
شهرت لأموال العباد كنيسةً  
فإذا الخميس سفيزها بين الوري

## شبكة التمدين

أمانتها علت عن كل ريب  
فأوربا نصيرة كل شعب  
وإقبالاً مقبر دون نكر  
كرامات القساوس أن أضاءوا  
تشكى الدهر من ظلم وضر  
ولكن من فلسطين بقلبي  
سراج الكهرباء بكل فكر  
وتلكم عقدة ليست لحل  
وللشام الكسيرة حرّ جمر  
من الترك الجفأة نجوا فلاقوا  
تلاقي كل تدبير بعسر  
بأشراك التمدين شرراً أسر<sup>(٣)</sup>

(١) إبليس افتراها.

(٢) الخميس: الجيش.

(٣) في هذا استهزاء يقول: إن أوربا ادعت أنها أنقذت الشام وفلسطين من قسوة الترك؛ ولكنها أوقعتهم في شر أسر.

## نصيحة

قال لُزْدُ من الفَرِنَجِ لَنَجَلِي  
أبغ مَرَأَى يدوم فيه المراد<sup>(١)</sup>  
أظلم الظلم للمساكين إعلام  
خِرَافٍ شريعة الآساد<sup>(٢)</sup>  
إنَّ للملك سِنْرَه فَاكْتُمْنَه:  
لا تَرُم بالسيف قَهْر العباد  
وبحمض التعليم فاغمس نفوسًا  
ثُمَّ ضغ طينها وفاق المُراد  
أين منه الإكسير؟ هذا محيلٌ  
جِبَل التير كومةً من رَماد

## قرصان وإسكندر

إسكندر:

جزاؤك في سلاسلك ارتهان  
أو التصميم من سيفي العتيق<sup>(٣)</sup>  
فقد صيرت وُسع البحر ضيقًا  
بما أمعنت في قطع الطريق

القرصان:

إسكندرا للفتنة لم توفّق  
أيجمل بالفتى فضح الرفيق؟  
فإنَّ القتل دأبي لا أماري  
كذلك القتل دأبك يا صديقي  
كلانسا اليوم قرصان: بيسر  
تصول، وُضلتُ في بحر عميق

(١) أطلب المنظر الذي لا ينتهي منه العين؛ أي المطعم الذي لا يحد.

(٢) أظلم الظلم أن تعلم الغنم سيرة الأسد؛ أي تعلم الأمم الذليلة طريق الحرية والقوة.

(٣) صمم السيف أصاب المفصل فقطعه.

عصبة الأمم<sup>(١)</sup>

مِسْكِينَةٌ مِنْذُ زَمَانٍ تُحْتَضِرُ      لَافَاءَ مِقْوَلِي بِسَيِّئِ الْخَبَرِ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَوْتُهَا مُحِثٌّ لَكُمْمَا      يَدْعُو الْقَسُوسَ أَنْ يَزُولَ ذَا الْخَطَرِ  
 عَجُوزٌ أَوْرَبَا يَجُوزُ عَيْشُهَا      عَلَى رُقْيَى إِبْلِيسَ أَيَّامًا أُخْرَى<sup>(٣)</sup>

## الشام وفلسطين

مَرَحَى لِحَانَاتِ الْفَرَنْجِ فَقَدْ      مَلَأَتْ بَهْنَ زَجَاجِهَا حَلْبُ  
 إِنْ فِي فِلَسْطِينَ الْيَهُودَ رَجَتْ      فليأخذن أسبانيا العرب  
 لِلْإِنْكِلِيزِ مَقَاصِدٌ خَفِيَتْ      مَا إِنْ يُرَادُ الشَّهْدُ وَالرُّطْبُ<sup>(٤)</sup>

## أئمة السياسة

مَا رَجَائِي بِسَاسَةِ قَدِ اسْفُؤَا      وَإِلَى الْأَرْضِ أَخْلَدُوا إِدْرَاكَ  
 نَظَرَاتٍ إِلَى ذُبَابٍ وَنَمَلٍ      فَهَمُّ الْعَنْكَبُوتِ مَدَّتْ شِبَاكَ  
 حَبِّذَا الرِّكْبُ قَدْ هَدَاهُ أَمِيرٌ      ذُو مَرَامٍ تُجَاوِزُ الْأَفْلَاكَ

(١) العنوان في الأصل جمعيت أقوام.

(٢) يعني لا أود أن أخبر بموتها.

(٣) الغلظن أن الشاعر نظم هذه الأبيات حينما كانت عصبة الأمم في آخر سنواتها.

(٤) بلاد العرب كلها معروفة في الهند بالنخل، ويقول الشاعر: ليس قصد السياسة الإنكليزية ما تعلن من عمران البلاد؛ بل لهذا مقاصد خفية.

## نزعات العبودية

بأسباب سُقم الشعوب خفاء      يقصّر في شرحهن البيان:  
 بشرع الأسود إمام العبيد      يرى دائماً حكمة الثعلبان<sup>(١)</sup>  
 كلبيمُ الإله يُرى لعنةً      على قومه في خطوب الزمان  
 إذا كان في السرّ هذا الكلبيمُ      لقوّة فرعون طوع البنان

## صلاة العبيد

جاء إلى لاهور وفد من الهلال الأحمر التركي فصحبهم إقبال في  
 صلاة بالمسجد الكبير، فأطال الإمام الصلاة فسأل أحد رجال الوفد لماذا  
 يطيل الصلاة أمامكم هذه الإطالة فكتب إقبال هذه الأبيات:

قال بعد الصلاة حلفُ جهاد:      كم يطيل الصلاة فيكم إمام  
 ما درى ذاكُم المجاهد المؤمن      صلاة العبيد كيف تُقام  
 كم لدي الحُرّ في الحياة كفاح      غيرهُ الحُرّ للشعوب قوام  
 حُرِم العبدُ حرقة الكد عجزاً      فعلى وقته المُضي حرام  
 لا تَعجّب إذا أطال سجوداً      ما لديه سوى السجود مُرام  
 رَبِّ وَقَبْلُ أئمة الهند يوماً      لسجود تحيا به الأقوام

(١) أسباب مرض الأمم أذلة يرون في شريعة الأسود فلسفة الثعلب، كالذين حادوا  
 بالمسلمين عن شريعة الحياة والقوة إلى مذهب الخنوع والاستكانة. والحكمة هنا الفلسفة،  
 والثعلبان الثعلب الذكر.

## إلى عرب فلسطين

لا يزال الزمان يَصَلَى بنار      لم تزل في حَشَاك دون خمود<sup>(١)</sup>  
لا دواءً بِلنـدن أو جنـيـوا      بوريد الفرنج كَفُّ اليهود<sup>(٢)</sup>  
ومن الرقِّ للشعوب نجاةً      قوةُ الذات وازدهار الوجود

## الشرق والغرب

علة الشرق ذلّةً واقتداءً      ونظامُ الجمهور في الغرب داءٌ  
مَرَضُ القلب والبصيرة فاشٌ      ما بِشِرقٍ ولا بِغربٍ شفاءٌ

نزعات التسلط  
(إصلاحات)

أرى رحمةَ الصياد سِتْرًا لقهره      ولم يُجدِ فينا ذا الصفيـرُ المجدد<sup>(٣)</sup>  
وقد زين الأقفاصَ بالزهر ذابلًا      لعلَّ أسيرًا للإسار يُغَرِّد

(١) يعني أن النار التي سرت في الزمان من تاريخ المسلمين لا تزال في نفس المسلم لم تخدم.

(٢) يعني يقبض اليهود على وريد أوروبا.

(٣) يقصد الشاعر ما دعاه الإنكليز إصلاحًا حين جعلوا للهند نوعًا من الحكم الداخلي، يقول:

ما يزال الصياد قاسيًا وإن تظاهر بالشفقة ولا يرققه أن تجدد له غناء. وإنما همه أن يرضي الأسير فهو يزين الأقفاص بزهور لا نضرة فيها لعل الطائر يرضى بقفصه.

## القسم السادس أفكار محراب جل الأفغاني

للشاعر بالأفغان إعجاب لقوتهم وبسالتهم، واعتزازهم بجبالهم  
وحميتهم الإسلامية.

وقد تخيل أن شاعرًا منهم اسمه (محراب كل) أنشأ هذا الشعر الذي في  
الصفحات التالية، يبين عما في نفوس هؤلاء الناس وما في معيشتهم كما  
يريد إقبال...

- ١ -

يا جبالي أيان عنك المسيرُ	وترابُ الآباء هذي الصخورُ
لا زهورُ ولا صدى عندليبِ	فيك منذ الأزال تأوى الصقور
جتسي فيك مخزّم وشعاب	ماؤك الثور، والترابُ العبير
لن يكون الشاهينُ عبد بُغاثِ	ألحفظ الأبدان روجي أبير
خلعة الإنكليز أم سُخوُ نُوبِ	إيه فقري الغيور! ماذا تشير؟

## -٢-

تنافزُ الناسِ دائمٌ أبدًا      لستُ ولا أنتُ القضاءَ فضلهُ  
 في الذاتِ عُضٌّ، للزمانِ ذا أملٍ      دواؤه في الجروحِ أرسله  
 تبقى على الدهرِ واحدًا بطلًا      إن كان في القلبِ «لا شريك له»

## -٣-

يجوز أن تُبدلَ أنتَ، لا تَحُلْ      بدعوة أن القضاءَ يُسدل  
 إذا سرى في ذاتك انقلابها      فجائز أن القضاءَ يُبدل  
 يبغى الشرابِ والفناءَ إذ ترى      رسم «السُّقاة» والإناءَ يبدل  
 تدعو بتحقيق الرجاءِ جاهدًا      ودعوتي أن الرجاءَ يبدل

## -٤-

وما فلكِ جائزٌ في السيِّرِ      وماذا ذكاءٌ وماذا القمَزُ؟  
 أرى ركبها جاهدًا في المسيرِ      وأقعدُها طولُ هذا السَّفَرِ  
 سَكَنَدُرُ زَمْجَرَ كالرعدِ حينًا      وعندك يا موتُ صدقُ الخبرِ  
 وعائتِ بداهلي يدا نادرٍ      بضربة سيفِ حكي فاخصر<sup>(١)</sup>  
 وتبقى الجبالُ وأفغانها      لك الملكِ والحكم ربُّ القُدرا

(١) نادر شاه ملك إيران وأفغانستان، فتح دهلي وتوفي سنة ١١٦٠هـ.

تُذَلَّ الحوائجُ صيدَ الرجالِ      ترى الليث كالثعلب المحتقر  
 إن الذاتُ أيدها فقَّرها      فعندي وعندك مُلك البَشْرِ  
 قِوامُ الشعوبِ بحُرِّ فقيرٍ      إلى سُدةِ المُلكِ ما إن نظر

## -٥-

مدارسُ ثم ضوضاءٌ ولهوٌ      وغمّ دام في العيش الوفير  
 وسَمّ الحر هذا ليس علمًا      إذا كان الجَدَى كَفَّ الشعير<sup>(١)</sup>  
 وما أدب وفلسفة غناءً      قِوامُ الفنِّ في جَهدِ المسير<sup>(٢)</sup>  
 تحكّم في الطبيعة ربُّ فنِّ      يضيء الليل كالصبح المنير  
 فربُّ الفنِّ من بركات فنِّ      يطوِّعُ لحكمه كلُّ العسير  
 وذلك إن يشأ قطرت عليه      أياة الشمس كالطلل النضير<sup>(٣)</sup>  
 عالم التجديد إن يظفر بحرِّ      موجدٍ من حوله طاف الزمانُ  
 لا تدع ذاتك بالتقليد لغواً      جوهرٌ فردٌ فحُطَّه بصِوانُ  
 بارك التجديدُ قومًا ليس فيهم      غيرَ حفلِ الأَمسِ، ذكري وعِيان<sup>(٤)</sup>  
 خشيتي أن وغي التجديد في      على التقليد للغرب دِهان

(١) العلم الذي جدواه كف من شعير؛ أي متاع قليل، ليس علمًا ولكن سما للأحرار.

(٢) الفن بالجهد المستمر لا بالأدب والفلسفة.

(٣) رب الفن إن شاء قطرت عليه أياة الشمس (أي شعاعها) كالندي فجعلها مادة فنه...

(٤) التجديد بركة لقوم لا يذكرون ولا يرون إلا صور الماضي.





## - ١٠ -

سوادُ عيونِ عَثْرَتِهِ فَتَيِّ  
 حليفُ طهارةِ وَفَتَى ضِرَابِ  
 يُرى في السلمِ ظبيًا ذا جمال  
 وفي يومِ الكريهةِ ليثٌ غاب  
 به نارٌ تُحَرِّقُ كلَّ شيءٍ  
 وحسبُ الغابِ من شرِّ الثقبِ  
 حباه الله أبهةً ومُلْكًا  
 بفقرٍ حيدرِيٍّ واحتسابِ  
 سبيلُ التاجِ حسر الرأسِ منه  
 فلا تنظرِ إليه بارتيابِ<sup>(١)</sup>

## - ١١ -

في بارحاتك لألآت أنواره  
 يسطيع نورًا ذا السراجِ الخابي<sup>(٢)</sup>  
 يشكو الضعيفُ من الزمانِ  
 والحرُّ فيه باسمِ لِحرابِ  
 من صوتِ طيرِ الصبحِ يدهشُ ذا  
 أتراه أهلَ تطاعنٍ وضيّرابِ  
 حذري لأنك في طباعِ طفولةِ  
 والغربُ تاجرُ سُكَّرٍ وجُلابِ<sup>(٣)</sup>

(١) وهو حاسر الرأس ولكنه طموح إلى التاج، أو هو في همته وعزته كصاحب التاج فلا تحقره بأنه حاسر.

(٢) هذا السراج الخابي هو الذي أضاء لك البارحة، فهو أهل لأن يضيء مرة أخرى. يعني الإسلام.

(٣) يخاف على المسلم أو الشرقي؛ لأن فيه طبع الطفل يحب السكر والجلاب. وأوربا تحسن التجارة بهما، فهو يتهافت على تجارتها.

## - ١٢ -

بـلا دينٍ ولا تـينٍ	هـوت في الفخ رجلاه <sup>(١)</sup>
دواء العـاجز المغلوب	«لا غـلاب إلا هـو»
وصـياد المعاني ما	رـجّت في الغـرب عيناه
فضاءً موزقٌ لـكن	غـزال المـسك خـلاه <sup>(٢)</sup>
يقوم ذاتـه سـحراً	بـدمع العـين أوّاه <sup>(٣)</sup>
فهذا الزهـر أحـسنه	على الأـمواء تلقاه
ودير الكون، زون الريـ	سـح والألوان معناه <sup>(٤)</sup>
على الكفـار مُسـتولٍ	وذو الإيـمان مـولاه
إمام المسجـد أـمنعه	أميرًا حـين يغشاه
زوي المحـراب حاجبه	ولم تُعـجبه تقـواه <sup>(٥)</sup>

(١) يشير إلى مصطفى كمال وأتباعه سياسة لا دينية، واتخاذ الحروف اللاتينية للغة التركية.

(٢) لا يجد صياد المعاني في أوروبا غزالاً مسكياً يصيده؛ وإنما هي فضاء لا صيد فيه؛ أي: لا يجد المعاني الجميلة التي يحبها.

(٣) الأواه: المتعبد الرقيق كثير الدعاء.

(٤) هذا العالم الذي هو معرض لأصنام من الألوان والروائح، يستعبد الكفار ولكنه مسخر للمؤمن.

(٥) تخيل زاوية المحراب تقطياً لصلاة أمير ليس فيها معنى الصلاة.

## - ١٣ -

دنياك في عيني شيء آخر  
 ماذا التقلب في عقول شبابنا  
 أتى لعينك - ليت شعري - تظهر  
 شيخ المساجد ما دعاؤك سُخرة  
 في كل صدر قد تبدى، محشر  
 ما «الذات» يرجى في رباط خلقها  
 أبه الحياة بلا جهاد تظفر<sup>(١)</sup>  
 هل للشرار من الرماد تسعر<sup>(٢)</sup>

## - ١٤ -

كل عشق دون إقدام هوى  
 ويلتا من ترف! أين فتى  
 ويد الله بعشق مخطر  
 تخذ الأهل زاد السفر  
 يعرف «النفس» بها ذو البصر  
 حدث الناس عن هده الضمير  
 إن يكن في الطباع منه حرير  
 وسبيل السلطان فقر غير  
 أنت يا مؤمن البشير النذير<sup>(٣)</sup>  
 خلو الأطاود ليست وحشة  
 علم فقر لسالك غير صعب  
 لا يكون الفولاذ جوهر سيف  
 إن قهر الإله فقر ذليل  
 قد سباك الفرنج نفساً ولكن

(١) في الأصل شيخ الحرم. والمراد به المساجد عامة.

(٢) الرباط مقام الصوفية. وفي الأصل خانقاه.

(٣) جاء هذا المصراع في الأصل بالفارسية.

## -١٦-

مَوْتُ الشُّعُوبِ بُعْدُهَا      عَنِ جَذَبَاتِ الْمَرْكَزِ  
 وَالذَّاتِ إِمَّا رُكُوزُ      فَلِلْمَعَالِي تُرْكَزُ  
 فَقَرَّ تَرَاهُ شَاكِيًا      جَوْرَ الزَّمَانِ اللَّحْزِ  
 بِبَاقٍ عَلَيْهِ مَسْحَةٌ      مِنْ اجْتِدَاءِ الْكُسُوزِ  
 وَلَمْ يَسْزَلْ مَيَسَّرًا      لِلْبِرِّ فَعَلُّ الْمَعْجَزِ  
 أَنْ يَجْعَلَ الصَّخُورَ كَالذِّ      مَرَّاتٍ غَيْرَ مُعْجَزِ<sup>(١)</sup>  
 فَأَيْنَ يَا مُؤْمِنَ أَنْتَ      الْيَوْمَ لِمَ تُبْسِرُزِ  
 مَا فِي جِهَادِ لَذَّةٍ      جَمْرُكَ فِيهِ مُعْوزِي<sup>(٢)</sup>  
 يَا شَمْسُ مِنْ سَرَادِقِ الْمَشِ      رِقِّ هِيَافِ ابْرُزِي  
 وَاكْسِي جِبَالِي حُلَّةً      تُزْهِسِي بِلَوْنِ الْقَرْمِزِ

(١) لا يحول دون همة الحر شيء من عالم المادة، فهو يحيل الصخور ذرات فلا تكون في طريقه عقبات.

(٢) ليس في الجهاد لذة ما لم تكن فيه حرارة الإيمان. وجمر المؤمن يفتقد اليوم في الجهاد.

## -١٧-

إن يكن في الألوف ربُّ يقينٍ      نفخَ النارَ في شبابٍ وشيبٍ  
ربما تنشئُ الصحاري فقيرًا      يخلقُ الدرَّ من حصى في  
بيراعٍ لتك اكتسبن لك حظًا      لم يخطَّ الجبينَ ربُّ الغيوبِ<sup>(٢)</sup>  
ذا الفضاء الذي يُسمَى سماءً      ليس شيئًا لذي العقاب النجيب  
هو فوق الرءوس يدعى سماء      وهو أرض تحت الجناح الهبوب

## -١٨-

أي قولٍ لشيرشاه رشيد:      في اختلاف القبيل ذلَّ العبيد<sup>(٣)</sup>  
خلعوا ثوب أمة جمعتهم      وازدهوا بالوزير والمحسود<sup>(٤)</sup>  
ذهب الدين في الجبال شعاعًا      كل حزب لبده في سجود<sup>(٥)</sup>  
حرمٌ فيه حرمة اللات ترعى      فحباك المولى بضرب سديد<sup>(٦)</sup>

(١) الجيوب وجه الأرض. وهو يشير إلى الرسول صلوات الله عليه وسلامه.

(٢) اكتب حظك بقلمك، فالله تعالى لم يكتب على جبينك مستقبلك كما تزعم.

(٣) شيرشاه أحد أمراء الأفغان.

(٤) الوزيري والمحسود من قبائل الأفغان في إقليم الحدود من باكستان.

(٥) البد: الصنم.

(٦) هذا حرم ولكن فيه أصنام؛ فالله يوفقك لضرب تكسر فيه الأصنام، كما كسر الرسول أصنام الكعبة.

## - ١٩ -

ليس الذي يُدرك الألوان ذو  
يا مؤمنا قد شأى الإفرنج منزلةً  
وحانةً الغرب للصادي مفتحة  
لك المماتُ بهذا السكر مُستترٌ  
هل يسمعنُ بنو الخانات موعظتي  
بل مُغتنٍ عن ضياء الشمس  
تقدّمَن. ليس هذا مُنتهى السفرِ  
ما السكر فيها بعلم العصر بالنكرِ  
إن لم يكن فيك للتوحيد من  
في شملة لست ذا تاج ولا سُررٍ<sup>(١)</sup>

## - ٢٠ -

مقاصد الفطرة العلياء يحفظها  
يراقب السحرَ في التمدين يُبطله  
للحسن واللفظ صاغَ الروضُ  
يا شيخُ كم تُعجبُ الأبصارَ  
هل يعرف الدهر للإسلام من  
مَن عاش في البيد أو في الطود  
في فقره أودع الخلاقُ سلطانا  
وثنشى البيد للأقدام عقباننا  
لكنَّ في البيد فاروقًا وسلمانا<sup>(٢)</sup>  
في نشوة تتحدّى السيف غضباننا

(١) ليس بمبصر الذي يرى الألوان؛ بل ما أدرك الحقائق والأسرار التي لا يحتاج في رؤيتها إلى الشمس والقمر.

(٢) لا ضير في أن تأخذ علوم العصر وتتنشى بها؛ ولكن الهلاك فيها أن تغفل بها عن الإيمان والتوحيد.

(٣) الخانات جمع خان، ومعناه الأمير؛ يعني يسمع هؤلاء الأمراء قولي وأنا في ثياب خشنة لست ملكًا ولا أميرًا.

(٤) يعني الأصحاب الكرام مثل عمر الفاروق وسلمان الفارسي.

# الفهرس

## فهرس

٣.....	مقدمة
٩.....	مدخل «ضرب الكلم»
١٠.....	فصول الديوان
١١.....	فلسفة إقبال
١٥.....	يا - الحضارة الحديثة
١٥.....	يب - فلسفته في هذا الديوان
١٦.....	تفسير اصطلاحات في الديوان
١٦.....	«الفقر»
١٨.....	«قلندر»
١٩.....	«الجنون»
٢١.....	كلمة الأستاذ أحمد برويز
٣٢.....	غلام أحمد برويز
٣٢.....	إلى القارئ
٣٣.....	تمهيد
٣٣.....	(١)
٣٥.....	القسم الأول: الإسلام والمسلمون
٣٥.....	الصبح
٣٥.....	لا إله إلا الله
٣٦.....	الاستسلام للقدر

٣٧.....	المعراج
٣٧.....	إلى سيد مصاب بالفلسفة
٣٨.....	الأرض والسماء
٣٩.....	اضمحلال المسلمين
٣٩.....	العلم والعشق
٤١.....	اجتهاد
٤١.....	شكر وشكوى
٤٢.....	الذكر والفكر
٤٢.....	شيخ الحرم
٤٢.....	القدر
٤٣.....	التوحيد
٤٤.....	العلم والدين
٤٤.....	المسلم الهندي
٤٥.....	على ذكر الإذن بحمل السيف
٤٥.....	الجهاد
٤٦.....	القوة والدين
٤٦.....	الفقر
٤٧.....	الإسلام
٤٨.....	الحياة الأبدية
٤٨.....	السلطان
٤٩.....	إلى الصوفي

- ٥٠..... صريع الفرنج
- ٥٠..... التصوف
- ٥١..... الإسلام الهندي
- ٥١..... قطعة
- ٥٢..... الدنيا
- ٥٣..... الصلاة
- ٥٣..... الوحي
- ٥٤..... هزيمة
- ٥٤..... العقل والقلب
- ٥٤..... سكر العمل
- ٥٥..... القبر
- ٥٥..... همة القلندر
- ٥٦..... الفلسفة
- ٥٦..... رجال الله
- ٥٧..... الكافر والمؤمن
- ٥٨..... المهدي الحق
- ٥٩..... المؤمن
- ٥٩..... في الدنيا
- ٥٩..... في الجنة
- ٦٠..... محمد علي الباب
- ٦١..... القدر

- ٦١..... الخالق وإبليس
- ٦٢..... أي روح محمدا
- ٦٢..... مدينة الإسلام
- ٦٣..... الإمامة
- ٦٤..... الفقر والترهب
- ٦٥..... قطعة
- ٦٦..... التسليم والرضا
- ٦٦..... نكتة التوحيد
- ٦٧..... الإلهام والحرية
- ٦٧..... الروح والجسم
- ٦٨..... لاهور وكراجي
- ٦٩..... النبوة
- ٦٩..... الإنسان
- ٧٠..... مكة وجنيوا
- ٧٠..... يا شيخ الحرم
- ٧١..... المهدي
- ٧٢..... المؤمن
- ٧٣..... المسلم البنجابي
- ٧٣..... الحرية
- ٧٤..... نشر الإسلام في بلاد الإفرنج
- ٧٤..... لا وإلا

- ٧٥..... إلى أمراء العرب
- ٧٥..... الأحكام الإلهية
- ٧٦..... الموت
- ٧٧..... قم بإذن الله
- ٧٨..... القسم الثاني
- ٧٨..... التعليم والتربية
- ٧٨..... المقصود
- ٧٩..... إنسان هذا العصر
- ٧٩..... أمم الشرق
- ٧٩..... التنبه
- ٨٠..... مصلحو الشرق
- ٨٠..... الحضارة الغربية
- ٨١..... أسرار ظاهرة
- ٨١..... وصية السلطان تيبو
- ٨٣..... قطعة
- ٨٣..... اليقظة
- ٨٤..... تربية الذات
- ٨٤..... حرية الفكر
- ٨٤..... حياة الذات
- ٨٥..... حكومة
- ٨٥..... المدرسة الهندية

- ٨٦..... التريية
- ٨٧..... الحسن والقبيح
- ٨٧..... موت الذات
- ٨٨..... ضيف عزيز
- ٨٨..... العصر الحاضر
- ٨٨..... طالب العلم
- ٨٩..... امتحان
- ٨٩..... المدرسة
- ٩٠..... الحكيم نيتشه
- ٩١..... الأساتذة
- ٩١..... قطعة
- ٩٢..... الدين والتعليم
- ٩٢..... إلى جاويد
- ٩٢..... -١-
- ٩٣..... -٢-
- ٩٤..... -٣-
- ٩٦..... القسم الثالث: المرأة
- ٩٦..... الرجل الإفرنجي
- ٩٦..... سؤال
- ٩٧..... حجاب
- ٩٧..... الخلوة

- المرأة..... ٩٧
- حرية النساء..... ٩٨
- حصانة المرأة..... ٩٨
- المرأة والتعليم..... ٩٩
- المرأة..... ٩٩
- القسم الرابع: الأدب والفنون..... ١٠٠
- الدين والفن..... ١٠٠
- التخليق..... ١٠٠
- جنون..... ١٠١
- إلى شعره..... ١٠١
- مسجد باريس..... ١٠١
- الأدب..... ١٠٢
- البصيرة..... ١٠٢
- مسجد قوة الإسلام..... ١٠٣
- مسرح..... ١٠٣
- شعاع الأمل..... ١٠٤
- ١-..... ١٠٤
- ٢-..... ١٠٥
- ٣-..... ١٠٥
- أمل..... ١٠٦
- البصيرة..... ١٠٧

- ١٠٧..... إلى أهل الفن
- ١٠٨..... قطعة
- ١٠٩..... الوجود
- ١٠٩..... الغناء
- ١١٠..... النسيم والندى
- ١١٠..... أهرام مصر
- ١١١..... مخلوقات الفن
- ١١١..... إقبال
- ١١٢..... الفنون الجميلة
- ١١٣..... صبح المرج
- ١١٣..... الخاقاني
- ١١٥..... الرومي
- ١١٥..... الجدّة
- ١١٦..... مرزا بيدل
- ١١٦..... الجلال والجمال
- ١١٧..... المصوّر
- ١١٨..... الغناء الحلال
- ١١٩..... الغناء الحرام
- ١١٩..... النافورة
- ١١٩..... الشاعر
- ١٢٠..... شعر العجم

- أصحاب الفن في الهند.....١٢٠
- الرجل العظيم.....١٢١
- عالم جديد.....١٢٢
- خلق المعاني.....١٢٢
- الموسيقى.....١٢٣
- لذة النظر.....١٢٣
- الشعر.....١٢٤
- الرقص والموسيقى.....١٢٤
- ضبط النفس.....١٢٤
- الرقص.....١٢٥
- القسم الخامس: سياسيات المشرق والمغرب.....١٢٦
- انقلاب.....١٢٦
- تملق.....١٢٦
- المناصب.....١٢٧
- أوروبا واليهود.....١٢٧
- عبودية الأنفس.....١٢٨
- الروس الشيوعيون.....١٢٨
- اليوم والغد.....١٢٩
- المشرق.....١٢٩
- سياسة الإفرنج.....١٢٩
- العبيد.....١٣٠

- ١٣٠..... إلى أهل مصر
- ١٣١..... الحبشة (١٨ آب سنة ١٩٣٥)
- ١٣٢..... أوامر إبليس إلى أبنائه الساسة
- ١٣٣..... جماعة الأمم الشرقية
- ١٣٣..... الملك الخالد
- ١٣٤..... الجمهورية
- ١٣٤..... أوروبا وسوريا
- ١٣٤..... من موسوليني (إلى أنداده في المشرق والمغرب)
- ١٣٥..... شكوى
- ١٣٥..... انتداب
- ١٣٦..... السياسة اللادينية
- ١٣٦..... شبكة التمدين
- ١٣٧..... نصيحة
- ١٣٧..... قرصان وإسكندر
- ١٣٨..... عصبة الأمم
- ١٣٨..... الشام وفلسطين
- ١٣٨..... أئمة السياسة
- ١٣٩..... نزعات العبودية
- ١٣٩..... صلاة العيد
- ١٤٠..... إلى عرب فلسطين
- ١٤٠..... الشرق والغرب

١٤١.....	القسم السادس: أفكار محراب جل الأفغاني
١٤١.....	-١-
١٤٢.....	-٢-
١٤٢.....	-٣-
١٤٢.....	-٤-
١٤٣.....	-٥-
١٤٤.....	-٧-
١٤٥.....	-٨-
١٤٦.....	-١٠-
١٤٦.....	-١١-
١٤٧.....	-١٢-
١٤٨.....	-١٣-
١٤٨.....	-١٤-
١٤٩.....	-١٦-
١٥٠.....	-١٧-
١٥٠.....	-١٨-
١٥١.....	-١٩-
١٥١.....	-٢٠-
١٥٣.....	فهرس